عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 61 / 16 تشرين الثاني 2015

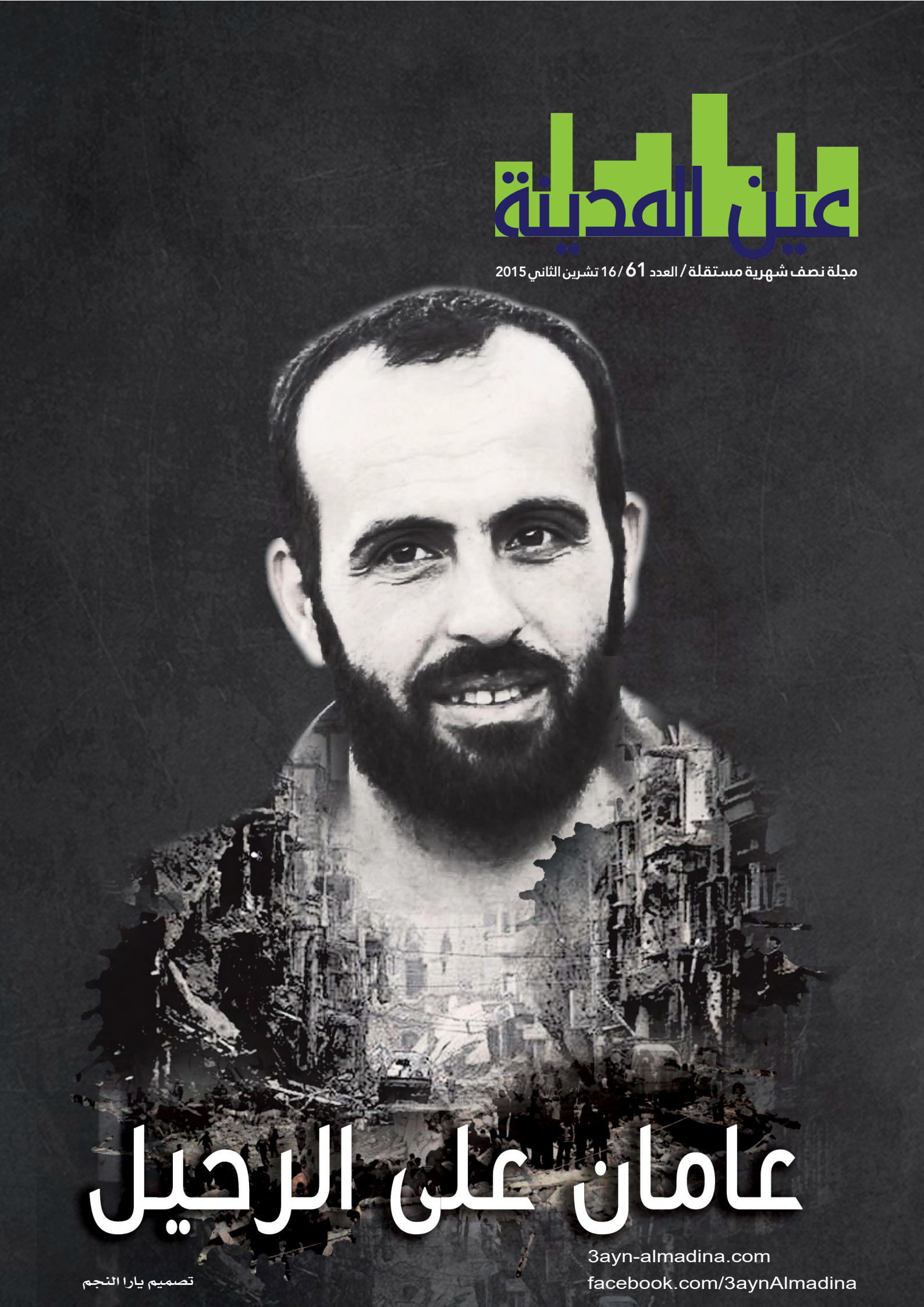

عامان على الرحيل

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

تصميم يارا النجم

مجـ(غزوة)ـزرة باريس

يسرّ المرء لقراءة الإدانات السورية المعارضة والثورية المستنكرة لما حدث في باريس منذ أيام. ومما يدعو إلى التفاؤل أن هذا الرفض لم يصدر فقط عن الكيانات السياسية، بل عن فصائل عسكرية وازنة في الساحة. ولكن الاقتصار على رؤية هذه المواقف غير كافٍ على الإطلاق، وغير مجدٍ للسير ببلادنا وناسها إلى الأمام.

بالنسبة إلينا كسوريين، نعرف البير وغطاه كما يقال، لا يصحّ أن نقف عند هذا النصف المليء بالماء السائغ من الكأس، بل علينا أن لا نتجاهل النصف الآخر الذي نعرفه جيداً، المليء بالدم والعلَق والصديد، والذي نلحظه لدى معارف كثر في أحاديث شفوية، وعلى صفحات الفايسبوك الخاصّة والعامة، بل حتى لدى اللاجئين إلى الدول الأوربية، يهمسون تشفياً بذرائع طفولية من نوع «فليذوقوا مما نذوقه!».

لا يتسع المقام هنا للاستفاضة في التحليل، غير أن الحفر في جذور هذه المواقف الحاقدة ببشاعة غريبة على أناس كانوا يسيرون في الشارع أو يحضرون مباراة كرة قدم، لمجرّد أنهم غربيون، يستوجب قراءة أولية، فضلاً عما يستحقه من إدانة هو الآخر.

وإذا حصرنا الحديث بالسوريين، رغم اشتراكهم في هذا مع كثير من أبناء الشعوب العربية و«الإسلامية»، يجب أن نتذكّر أنهم قاموا بثورتهم لأنهم يرفضون من نظامهم معظم ما يقول ويفعل سوى العداء للغرب، الذي كان الشعب والحكم يتبادلان التشدّد فيه، كلٌّ حسب برنامجه وحساسياته. وإذا كان سوريو الثورة قد تجاوزوا هذه الحساسية المتأصّلة من الغرب وبحّت حناجر متظاهريهم تطالب بالحماية الدولية وبضرب قوّات بشار الأسد الغاشمة؛ فقد كانت هذه طفرة غير متجذّرة في الشعور السياسيّ الشعبيّ السوريّ، دفعت إليها الحاجة والدماء التي سالت بغزارة.

ولما لم يفعل الغرب ما انتظره هذا الرأي العامّ منه، وضاق الخناق وبلغ الألم عنان السماء، شهراً وراء شهر وعاماً إثر عام؛ لم يكن أسهل على هذا الشارع أن يرتكس إلى مألوفاته في النظر إلى الغرب وسياساته ومنظماته الدولية بوصفها مخادعةً ومتحيّزةً ومصلحيةً «تكيل بمكيالين»، وصولاً إلى أنها استعماريةٌ حاقدةٌ على سورية تارةً، وعلى العرب تارةً، وعلى الإسلام تاراتٍ وثاراتٍ.

صحيحٌ أن السوريين لم «يودِعوا» في بنك الثقة العالميّ ما يكفي لاعتمادهم كأحد شعوب العصر، من احترام للحقوق والحرّيات والقوانين الوطنية والدولية، ولكن الصحيح أيضاً أن استدراجهم إليها شهدَ فرصةً عام 2011 (و2012)، لم تُسبق من قبلُ، أثناء وقوعهم في أسر خليطٍ من الدعاية البعثية الاشتراكية المعادية للغرب والإسلامية النضالية الشعبوية لحزب الله، مع التأثير العميق والمتجدّد لحروب إسرائيل وقضية فلسطين، كما لم تحدث بعدُ، عندما انتشرت بينهم الأيديولوجيات الجهادية المعادية للغرب بشكلٍ أكثر جذريةً، فاتصل العداء الروتينيّ الكهل بعداءٍ شابٍّ و«حيويٍّ» ومقاتل.

لقد ضاعت فرصةٌ «تاريخيةٌ» بالفعل... ولكن لا بديل عن ترميمها واستعادتها...

5 داعش تعجز عن تشغيل مدارس دير الزور

7 فصل السلطات بين رؤية داعش وحاجتها

8 رضوان السالم أيقونة من دير الزور

9 في الذكرى الثانية لرحيله، حجي مارع بعيون رفاقه

10-11 بحماية داعش، طائرات مروحية تحمل خبراء نفط في حقل تويتان

15 ليلة باريس الطويلة وليلنا الأطول

19 أكاديميو الأسد

القضية السورية...
بين اجتماعات فيينا وأنطاليا واعتداءات باريس

هيئة التحرير

شهدت العاصمة النمساوية فيينا الجولة الثانية من المباحثات الموسّعة لممثلي الدول والهيئات المعنيّة بالملف السوريّ، تحت اسم المجموعة الدولية لدعم سوريا. وفي حين جاء هذا الاجتماع كتتمةٍ لاجتماعَي فيينا 1 و2 من ناحية محاولات إيجاد صيغةٍ توافقيةٍ بين الدول الكبرى حول الملفات السياسية العالقة في القضية السورية؛ سلّطت عمليات باريس الإرهابية، التي تبناها تنظيم داعش، الضوء مجدّداً على نتائج سوء الإدارة والفهم الدوليين للملف السوريّ، وهو ما استحوذ أيضاً على مباحثات قادة الدول الاقتصادية العشرين الكبرى الذين اجتمعوا في مدينة أنطاليا التركية.

فيينا3: التوافق الشكليّ على حساب الواقع

بعد مباحثاتٍ وُصفت بالمعقدة، شدّد المؤتمرون مجدّداً على ضرورة التوصل إلى حلٍ سياسيٍّ بهدف إنهاء الصراع في سوريا. وفي سبيل ذلك اتفقوا على العديد من المسائل الإجرائية وفق ما يمكن اعتباره جدولاً زمنياً، أبرزها:

- تسريع الجهود خلال الشهر القادم لبدء مفاوضاتٍ بين المعارضة والنظام تفضي في النهاية إلى «عمليةٍ سياسيةٍ بقيادةٍ سوريةٍ، من شأنها إقامة حكمٍ شاملٍ ذي مصداقيةٍ وغير طائفيّ».
- تعهد الدول المعنية اتخاذ جميع الخطوات الممكنة لدعم تنفيذ وقف إطلاق نارٍ تحت إشراف مراقبين دوليين بالتزامن مع بدء المفاوضات السياسية، دون أن يشمل ذلك العمليات الهجومية ضدّ المجموعات المصنفة كمنظماتٍ إرهابيةٍ في الأمم المتحدة.
- يتولى الأردن عملية المساعدة في وضع قائمةٍ للجماعات والتنظيمات الإرهابية.
- يوضع جدولٌ زمنيٌّ وعمليٌّ لإعداد مسودة دستورٍ جديدٍ للبلاد بعد انتهاء المفاوضات وتشكيل «إدارة الحكم» الجديدة.
- تُجرى انتخاباتٌ عادلةٌ وشاملةٌ تحت إشراف الأمم المتحدة بعد 18 شهراً من إقرار الدستور الجديد.

بناءً على ذلك يبدو أن الجديد الذي حققه مؤتمر فيينا3 هو التوافق على تزامن أربعة ملفاتٍ في الوقت ذاته؛ هي إطلاق العملية السياسية ووقف إطلاق النار والتخطيط للمرحلة الانتقالية والاستمرار في محاربة الإرهاب. بمعنى آخر، ليست مقرّرات المؤتمر إلا ترحيلاً لأهمّ التفاصيل الأساسية العالقة منذ بداية الثورة، كقضية رحيل الأسد و«حقه» بالترشح إلى الانتخابات، الذي لم يناقَش في الاجتماع وإنما اكتفت الأطراف الدولية بالتشبث كلٌّ حسب مواقفه تجاهه، ما شمل أيضاً موضوع العملية الانتقالية وتصنيف الجماعات الإرهابية. إذ خرجت العديد من تصريحات المحور الداعم للثورة لتؤكد ذلك، جاء أحدها على لسان وزير الخارجية السعوديّ الذي قال عقب المؤتمر إن بلاده تدعم عمليةً سياسيةً تفضي إلى رحيل الأسد، أو أنها ستواصل العمل لإبعاده بالقوّة. فيما تواصل الطائرات الروسية استهدافها المدنيين ومجموعات الجيش الحرّ في مختلف المناطق، في وقتٍ بات فيه ظهور قائد فيلق القدس الإيرانيّ قاسم سليمانيّ في ريف حلب الجنوبيّ، وغيرها من الجبهات، أمراً مألوفاً.

اعتداءات باريس ومؤتمر أنطاليا

إذا كانت مباحثات فيينا قد ركّزت على «التفاصيل» السياسية بصفتها العائق الأهمّ الذي يقف أمام الحلّ في سوريا، فإن المجزرة التي تبنى تنظيم داعش ارتكابها بحقّ المدنيين في باريس تكشف مجدّداً البعد العالميّ للقضية السورية. كما تؤشّر مجدداً وبشكلٍ واقعيٍّ إلى فشل الإستراتيجيات الغربية في المعالجة، خاصّةً من ناحية الفصل بين ملفّي محاربة داعش والعملية السياسية المزعومة.

وفي حين سارعت الطائرات الفرنسية إلى قصف الرقة كأولى ردود الفعل على اعتداءات باريس؛ خرج الرئيس الأمريكيّ ليدافع عن «إستراتيجيته الفعالة» التي «ستستغرق وقتاً» ضدّ داعش، مع حرصه الدائم على تأكيد عدم نشر قوّاتٍ أمريكيةٍ لأغراض قتاليةٍ ضدّ التنظيم. جاء ذلك على هامش قمة العشرين «الاقتصادية» التي انعقدت في أنطاليا، والتي تصدّرت قضايا محاربة داعش وأزمة اللاجئين جدول أعمالها.

وعلى ضوء ذلك لا يبدو أن الإدارة الأمريكية في وارد تغيير إستراتيجيتها تجاه الملف السوريّ والقضية الداعشية، إذ أشار العديد من المراقبين إلى أنّ هذه الادارة تسعى خلال السنة الباقية من عمرها في الحكم وراء هدف منع التنظيم من تنفيذ أيّ عملياتٍ تطال الأراضي والمواطنين الأمريكيين، عبر الضربات الجوّية والعمليات الاستخباراتية. وكذلك الحال بالنسبة إلى فرنسا وغيرها من الدول التي اتبعت سياسةً غير بعيدةٍ عن مثيلتها الأمريكية تجاه سوريا، أدّت في النهاية إلى الوضع الحاليّ في ما يتعلق بداعش خصوصاً. وهنا لا توجد العديد من المؤشرات حول انتهاج فرنسا سياسةً جديدةً مختلفةً وفعالةً في ما يخصّ داعش، رغم أنّ الموقف الفرنسيّ يميل في أغلب الأحيان إلى ربط القضاء على التنظيم مع رحيل النظام.

تحوّلت القضية السورية، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، إلى قضيةٍ عالمية، تعقد في سبيلها المؤتمرات التي تفضي إلى مؤتمراتٍ ضيقةٍ وموسّعةٍ أخرى. لكن، في النهاية، لا تحلّ المشاكل دون الرجوع إلى مسبّباتها.

اعتصام عينتاب لمحاكمة الأسد
بروح الثورة مستمرّون

في الثامن من الشهر الجاري نظّم عددٌ من الناشطين السوريين المقيمين في مدينة غازي عينتاب التركية اعتصاماً في كيرك اياك «حديقة الحمام» تحت عنوان «نحن نقرر ما نريد: نريد محاكمة الأسد»، كردٍّ على اجتماعات فيينا وجنيف التي تحاول إعادة إنتاج النظام كما يراها المعتصمون، مطالبين بإحالة الملف السوريّ على محكمة الجنايات الدولية، ومحاكمة بشار الأسد كمجرم حرب.

شارك في الاعتصام ناشطون من جميع المحافظات السورية، وبعض السياسيين المجتمعين في فندق توجان القريب من المكان، ضمن فعاليات مؤتمر إعلان دمشق. وحضروا هذه الفعالية بشخوصهم لا كممثلين عن تكتلاتهم السياسية، حسب ما اشترط عليهم المنظمون.

وألقت الناشطة منى الفريج كلمةً تعريفيةً بالمجموعة وأهدافها، تخللتها هتافاتٌ ثورية. ثم تبعها خطابٌ لأم الشهداء الرقاوية، التي حثت الشباب على التمسك بالأرض ومتابعة النضال ضد الأسد. واختتم الاعتصام بنشيد «موطني».

وجاء الاعتصام كجزءٍ من فعالياتٍ تنظمها مجموعةٌ من الشباب السوريّ، تحت اسم «بروح الثورة مستمرّون»، بهدف إعادة «روح الثورة إلى الشارع»، حسب

جانب من الاعتصام

قول القائمين على هذا المشروع، وبتمويل ذاتيّ، محاولين الاتصال بناشطين آخرين داخل سوريا وخارجها لـ«إيصال صوت الثورة الذي فشل سياسيو المعارضة في إسماعه للعالم». يقول فرحان عسكر، أحد أعضاء المجموعة: «السياسيون يفعلون ما تقتضيه مصالحهم، ونحن نحاول تشكيل قوّةٍ ضاغطةٍ لفرض ما يريده الشارع».

نظّمت «بروح الثورة مستمرون» اعتصامين سابقين؛ كان الأوّل بمناسبة مرور عام على ضربات التحالف الدوليّ، «التي تجاهلت نظام الأسد الذي قتل ويقتل السوريين كلّ يوم». واعتبرت المجموعة في اعتصامها ذاك أن التحالف شريكٌ للنظام في جرائمه. ومثّل الاعتصام الثاني وقفة غضبٍ واحتجاجٍ ضدّ العدوان الروسيّ على المدن والقرى السورية.

يسعى أعضاء المجموعة إلى كسب الشارع، وتوسيع الدائرة لتضمّ أكبر عددٍ ممكنٍ من الناشطين، وفق معايير توافقيةٍ يُنتقّى على أساسها الأعضاء الجدد، مع الالتزام بطرائق عملٍ محدّدةٍ وجداول زمنيةٍ متفقٍ عليها، مع التشديد على رفض الانخراط في أيّ تكتلٍ أو تجمعٍ سياسيٍّ، انطلاقاً من شعارٍ يرفعونه يقول: «الساحة ليست ملكاً لأحدٍ، فهي ملكٌ للجميع».

«تجمّع شبابيّ سوريّ»

كل أسبوع، في مدينة غازي عنتاب التركية، تحرص مجموعةٌ من ناشطي المجتمع المدنيّ على الاجتماع للتداول في قضيةٍ من قضايا الشأن السوريّ العام. أطلق هؤلاء الناشطين على مجموعتهم اسم «تجمّع شبابيّ سوريّ». آخر اجتماعات التجمّع كانت في مكتب «تيار مواطنة»، وكانت القضية عزوف الشبان السوريين عن العمل السياسيّ، واستحواذ شخصياتٍ معيّنةٍ من اتجاهاتٍ تقليديةٍ عليه، وفرض الوصاية والأبوية على الشباب باعتبارهم مجرّد «هواة». عرض النقاش العوائق والصعوبات أمام نشأة حياةٍ سياسيةٍ حقيقيةٍ يكون الشباب جزءاً فاعلاً ورئيسياً فيها. وفي أوقاتٍ سابقةٍ نوقشت قضايا مثل «التطوّرات السياسية والعسكرية بعد تحرير إدلب»، و«التدخل الروسيّ في الحرب السورية». وفي كثيرٍ من اللقاءات يوجّه أعضاء التجمع دعوةً لشخصياتٍ خبيرةٍ بالقضية المطروحة للنقاش، أو ذات تأثيرٍ وعلاقةٍ بالشريحة السكانية المعنية وفي نطاقها الجغرافيّ، للوصول إلى أفضل عرضٍ وتحليلٍ للمشاكل والتحديات، ثمّ اقتراح حلولٍ وطرائق للتعامل معها.

بدأت لقاءات «تجمّع شبابيّ سوريّ» منذ عامٍ تقريباً. ويتناول كلّ لقاءٍ قضيةً جديدةً متفقاً عليها في نقاشٍ سابقٍ في غرفةٍ إلكترونيةٍ تضمّ أعضاء التجمّع. ويرفض الأعضاء تلقي أيّ تمويلٍ أو مساعداتٍ ماليةٍ لأنشطتهم، التي تهدف بشكلٍ رئيسيٍّ إلى «توحيد الصفوف وتقريب الرؤى السياسية» و«تنظيم الجهود نحو أهدافٍ مشتركة» و«مواجهة المشكلات واقتراح حلول لها»، حسبما يؤكّد أعضاء التجمّع.

يقول أحد أعضاء هذه المجموعة: «أكثر ما نعانيه هو قلّة عدد الشباب المنضمّين إلى نشاطاتنا، نتيجة صعوبة حياتهم المعيشية، ونتيجة انقطاع الأمل بسبب الفشل الحاصل على جميع المستويات».

يدرك شبّان التجمع أن مجرّد نقاش هذه القضايا لن تكون له آثارٌ عمليةٌ نافعة، ولكنه يعمّق فهمهم لها على الأقلّ. ومن جهةٍ أخرى لا يبدو تصوّر أعضاء هذا التجمّع لمستقبل مشروعهم واضحاً، وخاصّةً مع الهدف العامّ والكبير في «توحيد الجهود»، الذي يسعون إلى تحقيقه دون اقتراح وسائل عمليةٍ للوصول إليه.

داعش تعجز عن تشغيل مدارس دير الزور
مديرة مدرسة: «لا تجون إلا نعطيكم خبر»

نشوان الصالح

حين كان أبو المنذر المصريّ -وهو أوّل أمير لديوان التعليم في مدينة دير الزور- على وشك الاقتناع بأن العملية التربوية القائمة في المدينة لا تمسّ الثوابت الدينية، صعد مدرّس لغة عربية من أبناء المدينة إلى منبر جامع حرويل، حيث عقدت داعش اجتماعها بالجهاز التعليميّ «الحرّ» والناشئ آنذاك، ليقول: «الشيخ يتكلم في وادٍ وأنتم تفهمون في وادٍ آخر. هذه المناهج زُبالة، وعلينا أسلمتها قبل افتتاح المدارس»، وأيّده في ذلك معلم رياضة غاضبٌ من «المناهج الكافرة». ولم يجد المصريّ، أمام تفوّق معلمين من أبناء المدينة عليه في التكفير، بدّاً من أن يتراجع ويقرّ هو الآخر بفساد وكفر هذه المناهج.

كان هذا الاجتماع محطّةً كارثية، لأنه أجهز على العملية التعليمية برمّتها، وهدم ما قام المكتب التربويّ التابع للمجلس المحليّ ببنائه خلال أكثر من عام، إذ نجح هذا المكتب في استعادة ثقة الأهالي والمعلمين والطلاب بالمدرسة في ظروف الحرب التي تعيشها دير الزور.

مثل كلّ مسؤولي داعش، كان أمير التعليم المصريّ مضطرباً ولا يعرف ماذا يريد بالضبط، كما ظهر في الاجتماع المذكور الذي حضره أكثر من 50 مدرّساً وناشطاً في قضية التعليم، كانوا قادرين على الوصول إلى تسوية مع داعش تبقي المدارس مفتوحةً عدّة أشهر أخرى لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب على الأقلّ، ما دفع المصريّ إلى التساؤل: «وما المطلوب منا؟»، قبل أن يتراجع بتأثير المعلمين المزاودين عليه في التكفير.

ولكن في مراكز القرار الحقيقية في داعش كان هناك من يخطط بخبث، فجاءت القرارات تباعاً، كاستتابة المدرّسين الراغبين في التدريس وإخضاعهم لدورة «تصحيح عقيدة»، أخضعوا بعدها لامتحان تحريريٍّ، يدخل الناجحون منهم فيه فحص مقابلةٍ سؤاله الأهم: «هل تبايع أمير المؤمنين إذا طُلب منك ذلك؟»، ويُحدَّد المقبولون على أساس الإجابة عن هذا السؤال.

يقول معلمٌ خضع لاستتابات داعش تلك: «أحسسنا بمهانةٍ وكأننا عبيد. لا قيمة لعلم عندهم ولا لكبير ولا لصغير. تصوّر أنهم أجبروا مدرّساً قديراً كهلاً على الاستتابة مرّتين؛ الأولى لأنه كان مدرّساً عند «النصيرية»، والثانية لأنه كان سجيناً عند النظام لمدة 13 عاماً بتهمة الإخوان!».

لاحقاً، خلال العام الدراسيّ المفترض، تلاحق على رئاسة الجهاز التعليميّ لداعش أشخاصٌ عدّة، كان آخرهم أبو الفضل، وهو طالبٌ جامعيٌّ شابٌّ من أبناء المدينة، انصبّ اهتمامه الرئيسيّ على تنفيذ أوامر الأمنيين والتقرّب منهم. وخلال العام ذاته افتتحت داعش مدارس ابتدائيةً هي أقرب إلى المدارس الدينية منها إلى المدارس بمفهومها المعروف. ودوماً كانت مبرّرات أنصار التنظيم لغياب مواد درسيةٍ رئيسيةٍ أن الكتب قيد الطباعة وستصدر في وقتٍ قريب.

يقول أحد أطفال هذه المدارس: «ما يعطونا غير عربي ودياننة.. وبي استاد انطانا شوي حساب بس قال لا تعلمون حدا».

وبقراراتٍ وإجراءاتٍ مرتجلةٍ أخرى انهار التعليم في مدينة دير الزور. ليأتي القرار الأكثر جنوناً والمعنون بـ«بيان وتعميم رقم 09»، الذي جمع كلّ ما سبق في سياقٍ واحدٍ وفق منهجيةٍ تقوم على نسف كلّ العملية التدريسية قبل سيطرة التنظيم، واعتبار كلّ ما يتعلق بها كفراً وردّةً، من المناهج إلى المدرّسين. ثم ما لبث التنظيم أن أصدر، بعد قرابة شهرين، قراراً آخر يقضي باستتابة جميع المدرّسين والمدرّسات، و«من لم يحضر للاستتابة يعتبر مرتدّاً مصرّاً على ردته»، وفق القرار.

مع بداية العام الدراسيّ الجديد 2015-2016 ماطل التنظيم بافتتاح المدارس حتى بداية الشهر العاشر، لكن شيئاً لم يتغير، فقد قام بافتتاح أربع مدارس ابتدائية فقط، ونقل مقرّاتها من البيوت والأبنية الصغيرة إلى أبنية المدارس الحكومية السابقة، وفرض مبلغ 10 دولار رسم تسجيلٍ على كلّ طفل، قبل أن يتراجع عن هذا الإجراء. ولم يبدأ التدريس الفعليّ حتى اليوم في مدارس داعش المفتتحة في المدينة، لعدم وجود معلمين ومعلماتٍ، أو لندرتهم في سلك داعش التعليميّ داخل المدينة. وإلى جانب غياب المعلمين تغيب الكتب أيضاً، وتستمرّ داعش بإطلاق الوعود ونشر صور أغلفة الكتب «المطبوعة في الموصل» وفق زعمها، لبثّ الأمل بأن هناك تعليمٌ قادم.

تقول الطفلة نور من حيّ الحميدية: «كل يوم نروح عالمدرسة، نظلّ ساعتين قدّام الباب وما تجي المديرة، ونرجع». نور في الصفّ الخامس الابتدائيّ، وهي السنة الأخيرة لتعليم الإناث في نظام داعش. وتلخّص نصيحة المديرة لهذه الطفلة حال المدارس في ظلّ داعش: «اليوم إجت المديرة قالتلنا لعد تجون إلا نعطيكم خبر».

خطبة الجمعة
إلى أيـن وصلت اليوم في دير الزور

سمهر الخالد

لطالما شكّلت فكرة «فقهاء السلطة» أو «علماء السلطان» نقطةً تحصّن وراءها الكثير من المتأثرين بالتيار السلفيّ في دير الزور، في معرض مخالفة أو رفض آراء العلماء والمشايخ والخطباء الكلاسيكيين السوريين. وتطوّر الأمر خلال الثورة إلى أن وصل إلى القطيعة النهائية مع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية.

يعتمد التنظيم على الخطباء والأئمة والمؤذنين المعتمدين (الراتبين). ويخصّص لهم رواتب تصل إلى خمسين دولاراً في الشهر. وفي حال غياب أحد هؤلاء يتقدّم أحد عناصر التنظيم -المهاجرين خاصّةً- للقيام بعمل المعتمد. وفي حال عدم وجود أحد هؤلاء يتجنّب المصلّون التقدّم بسبب تعرّض البعض للمساءلة والمضايقات في أوقاتٍ سابقة كان آخرها منذ شهرين حين تكلم خطيبٌ متطوّعٌ عن «أخلاق المسلمين، حين ترك جيش قتيبة بن مسلم، بأمرٍ من عمر بن عبد العزيز، مدينة سمرقند بعد دخولها لأنه لم يخيّر أهلها بين الحرب والسلم». وقد حاصره المهاجرون بعد الصلاة متسائلين عن قصده من ذكر الحادثة، قبل أن يعتقل لساعاتٍ ويجبَر على حضور دورةٍ شرعية.

يتولى مبايعون الخطابة، وهم من المبتدئين الذين لا يتجاوز معظمهم الثلاثين عاماً، إلى جانب بعض المستقلين المحترفين من أبناء المدينة، حرّض بعضهم على محاربة التنظيم قبل سيطرته على دير الزور. وقد أُخضع الجميع لدورات «تأهيل الخطباء» التي تستغرق ثلاثة أشهر نظرية يدرس فيها «الطلاب» ثلاثة كتيّباتٍ رئيسيةٍ في الأصول الثلاثة والعقيدة والفقه، بالإضافة إلى حفظ جزءٍ من القرآن الكريم في الحدّ الأدنى. ويطرح الشرعيون على حاضري هذه الدورة الكثير من الآراء المتضاربة، خاصّةً فيما يتعلق بالموقف من الشيخ السلفيّ الشهير ناصر الدين الألباني، أو مكانة أبي بكر البغداديّ «كخليفةٍ راشديٍّ أم رجلٍ عاديٍّ هيّأه نسبه لمكانه». ويتدرّب الخطيب -بعد امتحانٍ نظريٍّ- لمدّة ثلاثة أشهرٍ أخرى في أحد جوامع القرى القريبة.

تنفرز الجوامع اليوم كيفياً إلى جوامع يخطب فيها أحد الخطباء المبتدئين الذين يلتزمون بالخطبة الورقية الرسمية، بما في ذلك الدعاء الختاميّ. يوزّع تلك الخطبة «ديوان المساجد والأوقاف»، ولا يتجاوز وقتها خمس عشرة دقيقة. ويتوافد على مثل هذه الجوامع الرجال الأكبر سناً، البعيدون عن الاستقطابات. أما القسم الثاني فيخطب فيها محترفون مستقلون أو مبايعون، يتوسّعون في الخطبة التي قد يصل وقتها إلى ساعة. ويتوافد إلى هذه الجوامع المهاجرون وعناصر التنظيم وصغار السنّ. ويخوض خطباؤها في أمورٍ ما زالت محلّ خلافٍ وتجاذب؛ كموقف التنظيم من سكان حيّي الجورة والقصور (قبل أن يعلن موقفه الرسميّ مؤخراً باستثنائهم من حربه على الكفار)، كما قد يتطرّق البعض إلى الحديث عن عظماء من المتصوّفة، كصلاح الدين الأيوبيّ. وربما يندرج التوسّع أحياناً تحت فكرة الإصلاح من الداخل.

وتعدّ الدعوة إلى الجهاد، وبيعة البغداديّ، والدعوة إلى القدوم إلى «الدولة»، وعدم مغادرتها إلى تركيا وأوروبا، من أبرز موضوعات الخطبة. في حين ألغى التنظيم الكثير من الشعائر التي كانت ترافق صلاة الجمعة، كبثّ تلاوة القرآن والأذكار من على المآذن قبلها، ومصافحة المصلين بعضهم بعدها قائلين: «تقبّل الله».

بعد حرق الطيار الأردنيّ معاذ الكساسبة اضطرب الأهالي في مدينة دير الزور، واستنكروا هذا التصرّف، بغضّ النظر عن موقفهم من الطيار. وراح الكثير من الشبّان يقلّبون الكتب الدينية المعروفة، كصحيح البخاري ومسلم، لتأييد وجهة نظرهم الموروثة القائلة بعدم جواز الحرق حتى لو كان المحروق حشرة، إذ «لا يحرق بالنار إلا ربّ النار». وعمّم التنظيم، بعد عملية الحرق، خطبةً برّر فيها عمله بأدلةٍ دينيةٍ لم تقنع الجميع. وقد قرأ الخطباء تلك الخطبة على الأهالي دون أيّ اعتراضٍ رسميّ. وبسؤال أحد الخطباء المستقلين -وقد ترك الخطابة مؤخراً- عمّا إذا كان الخطباء قد تحوّلوا بهذا إلى «خطباء سلطان» أجاب بحذرٍ ظاهر: «قد يكون الخطباء مقتنعين بالفتوى، أو ليس لديهم علمٌ شرعيٌّ يمكّنهم من ردّها. على أن الدولة لديها من العلماء والمفتين ما يمكّنها من إصدار مثل هكذا فتوى».

بينما يسأل خطباءٌ مستقلون آخرون كلّ من يجدون لديه بعض المعرفة الشرعية إن كانت له «مآخذ شرعية على الدولة».

فصل السلطات
بين رؤية تنظيم الدولة وحاجته

علي خطاب

بعد سيطرته على دير الزور قام التنظيم باعتقال العديد من عناصر الفصائل التي قاتلته، ووصل عددهم إلى اثنين وأربعين شخصاً من قرية حطلة مدخل المدينة الشماليّ ومحيطها فقط، وظلّ مصيرهم مجهولاً حتى وقتٍ قريب.

وأثناء تمدد التنظيم وقع العديد من الضحايا المدنيين، كما دمّرت ممتلكات آخرين لم يدخلوا في القتال. وقد دفع التنظيم، ممثلاً بالوالي، الدية لذوي المدنيين، كما عوّض أصحاب الممتلكات المتضرّرة، بعد مدّةٍ من استقراره في دير الزور. تزامن ذلك مع إعدام بعض الشرعيين والقضاة، كأبي عمر الكويتيّ، لضبط لا مركزية الفتوى إن صحّ التعبير. وقد فتحت «بادرة» التعويض باب الأمل لدى بعض الأهالي، فراح ذوو معتقلي الفصائل يطالبون بمعرفة مصير أبنائهم، رغم أن الكثير منهم عرف أن التنظيم أعدمهم عبر تسريباتٍ جانبية -بحسب ما أفاد بعضهم- حتى أرسل «ديوان الخلافة» منذ أكثر من شهرين مندوباً يحمل ورقةً تقرّر أن من يبحثون عنهم قد قتلوا أثناء الاشتباك، وهم خمسة وعشرون شخصاً يبدو أن التنظيم أراد التخلص من دفع دياتهم، كما يحلل إعلاميون في المدينة.

قد تسلط هذه الحوادث الضوء على إدراك التنظيم حاجته إلى سحب الإفتاء والاجتهاد من قادته الميدانيين، ودفعه نحو تكريس «السلطة التشريعية» في أيدي «شرعيين سياسيين» أكثر واقعيةً، فرضوا مع الزمن رؤيتهم على كلّ مفاصل الحكم. وتظهر «السلطة التشريعية العليا» التي تراقب وتجتهد اليوم في جميع القرارات والأوامر التي تتبعها «أجهزة» التنظيم (كالشرطة والحسبة). ففي ملصق أصدرته مكتبة الهمة بعنوان «اللحية سمت المسلمين» جاء: «على وليّ الأمر، خاصّةً رجال الحسبة، نهي حالقي اللحى عن منكرهم»، و«جزى الله الإخوة في ديوان الحسبة في الدولة الإسلامية على إصدارهم أمراً يمنع المخالفين من حلق اللحى ومحاصرة المقصّرين على ذلك». ويظهر جلياً في المنشور أن الخطاب موجّهٌ من سلطةٍ تشريعية منفصلة عن الأجهزة التنفيذية (وليّ الأمر) التي تبنت تلك «الفتوى». وعلى ما يبدو، تساير شكليات الخطاب أحد مبادئ التنظيم التي عبّر عنها في خلافه مع جبهة النصرة، عبر منشور وزّعه في دير الزور يؤكّد «عدم جواز فرض الإمام اجتهاده على عوامّ المسلمين».

وقد نُقل مؤخراً عن عناصر في محكمة مدينة الميادين صدور فتوى عن أبي بكر البغداديّ تبيح قطع يد سارق المال غير المحرز، بعد انتشار سرقة الدراجات النارية هناك، لتبيّن قصر دور القضاة على الحكم بالقوانين وليس إنتاجها. ورغم أن القضاة يتحكّمون في كثير من التفاصيل في ثنايا أحكامهم (كالتحقّق وتقييم القضية)، لكنهم لم يعودوا قادة الجماعات التي تشارك في المعارك وتفرض القوانين في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم كما كان ينقل عنهم؛ يعتقلون المناوئين ويصدرون أحكاماً بحقهم وينفذونها ثم يأتي دور «الوالي» أو «ديوان الخلافة» لتصحيح ما ترتب عليها، من دفع الديات أو التنصّل أمام الأهالي. كما لم يعد القضاة يعتمدون على تقديراتهم الشخصية في ترجيح ما يجب عمله، ليظهر عناصرهم في تلك الجماعات بتلك المزاجية التي يستطيعون بها اختراع المخالفات للاعتقال. بل أصبحوا «قضاةً» متفرّغين أكثر لمهنتهم، يمارسون الرقابة على بعضهم، فالقضية الواحدة يحكم فيها ثلاثة قضاةٍ لتحصين أحكامهم على ما يبدو.

في السياق ذاته، وعلى المستوى الرسميّ على الأقلّ، يأتي تجنب عناصر الشرطة -خارج أوقات عملهم- اعتقال المخالفين، وتجنّب السّجانين ضرب المعتقلين دون أمر القاضي، وتجنّب الأمنيين اعتقال المدخّنين أو مقصّري اللحى عند تفتيش أحد المنازل، كما تفيد العديد من الشهادات. الأمر الذي يفصح عن وضع الأجهزة الحاليّ كأداةٍ لتنفيذ الأوامر لا غير.

أكثر من ذلك، فإن «الجهاد الذي هو فرض عين على أمة الإسلام»، بحسب شرعيي التنظيم، ليس مفروضاً على «عوامّ المسلمين» حتى الآن عن طريق التجنيد الإجباريّ على سبيل المثال. الأمر الذي يبيّن مدى الانفصال بين «النظرية» التي يطرحها شرعيو التنظيم والاعتبارات التي تراعى عند فرض القوانين والقرارات.

يرد في أحد كتيّبات التنظيم المخصّصة للدورات الشرعية، واسمه «التقريرات المفيدة في أهم أبواب العقيدة»، تحت عنوان الفصل بين السلطات: «المقصود من هذا الأمر في الأصل هو فصل الدين عن الحكم والسياسة والنظام الداخليّ. وهذا مبدأ العلمانية التي قامت في بلاد الكفر والتي أريد بها التحلل من تعاليم الدين وقيمه. وقد جاء الطواغيت بهذا الكفر إلى بلاد المسلمين ليبعدوهم عن تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه ويلقوا بهم في براثن الشرك والوثنية والتحلل الأخلاقيّ». فهل يعي «منظّرو» التنظيم معنى فصل السلطات؟

رضوان السالم
أيقونةٌ من دير الزور

معاذ الطلب

«دكتور رضوان السالم... ما كنت أريد قوله لك... إنك تشبه مدينتي الجريحة».
«حلمت الليلة الفائتة بالدكتور رضوان وقد خرج بخير من سجون داعش، وفرحت كثيراً برؤيته، حتى أننا التقطنا صورة سوية لنشرها وإخبار الشباب بخروجه سالماً معافى ..رغم تأكيد الكثير خبر استشهاده إلا أنني لا أزال فرحاً بالمنام».

هي أمنياتٌ ورسائل يكتبها محبّو رضوان السالم يومياً على صفحته الشخصية في موقع فيسبوك، بأن يخرج سالماً من ظلمات سجون داعش، رغم علمهم أن احتمال قتله تحت التعذيب، أو إعدامه، أرجح بكثير من احتمال بقائه على قيد الحياة. فداعش لن تترك «النشمي»، «الشّجاع»، «المؤدب»، «الطيب»، «الشريف»، حسبما يجمع عارفوه، يفلت من قبضتها. هذا الرجل خطرٌ بالفعل على التنظيم لأنه، ببساطة، يقدّم نموذجاً مثالياً من لحمٍ ودمٍ للقائد الثوريّ المخلص للثورة حتى النهاية.

رضوان السالم، الصيدلانيّ، وابن حيّ «الحويقة» الواقع بين فرعين لنهر الفرات، كان مثل ماء هذا النهر، لا يعرف الاستكانة أو العودة الى وراء. تظاهر منذ الأيام الأولى متحدّياً أجهزة الأمن. عالج الجرحى. واكب كتائب الجيش الحرّ في أول تشكلها، وكان في المقدمة مقاتلاً في معارك تحرير الحويقة. عمل في إغاثة أسر الشهداء. دعم أعمال المجلس المحليّ ودافع عن شرعيته. كان حاضراً في الدفاع عن الناشطين المتضرّرين، مطالباً عنيداً بحقوق المدنيين، محافظاً على أموال الناس وأملاكهم. لم يشفع له مقتل خمسة من أفراد أسرته بصواريخ الأسد، ولا بقاء أمه وحيدةً تسأل القريب والبعيد أخباراً عنه. ولم تشفع له قراءته المتواصلة للقرآن الكريم، ولا صلواته، عند من زعموا نصرتهم الإسلام أو إقامتهم دولته.

بعد جهودٍ حثيثةٍ، في الأيام التي ضربت فيها الفوضى تشكيلات الجيش الحرّ وتشرذمت الفصائل إلى مكوّناتٍ صغيرة، نجح «الدكتور» -مع بعض القادة المخلصين- في توحيد كتائب كثيرةٍ تحت مسمّى «تجمع المجاهدين»، في شباط 2014، أي قبل دخول داعش بستة أشهر. الأمر الذي أغاظ من يعُدّون الثورة مقاولةً خاصّةً في الدين والسياسة، ويطلقون على جماعاتهم أسماء ثوريةً، من حديثي أسلمة آنذاك، ومبايعين سرّيين ثم علنيين في وقتٍ لاحق. فأطلقوا عليه وصف «العلماني الأول في المدينة»، وكفّروه قبل أن تكفّره داعش، لا حباً بالدين بل إجهاضاً لمشروعٍ عسكريٍّ مخلصٍ نابعٍ من الأرض كان سَيكفّ أيدي جامعي التَّبرّعات من الخليج عن العبث بثورة مدينة دير الزور.

رفض «الدكتور» الخروج من المدينة بعد سيطرة داعش، وآثر البقاء مكملاً طريقه في مواجهة النظام، ورأى أن التنظيم حدثٌ عارضٌ لا بدّ أن يزول. لم يشأ الرحيل لأنه هزيمةٌ بالنسبة إليه، وهذا ما لا يعرفه هذا الثائر المبتسم المتفائل دوماً، وهذا أيضاً ما لا يحتمله كيانٌ همجيٌّ مجنونٌ مثل داعش. وربما لعبت وشايات المتظاهرين بالتدين والمتلوّنين حسب سطوة راياته دورها في اعتقاله. فبعد أسبوعٍ فقط من اجتياح داعش دير الزور خطف ملثمون رضوان السالم في شارع التكايا أمام أعين الناس. ومنذ ذلك الوقت، في آب من العام الماضي، ما زال مصيره مجهولاً حتى الآن.

في اليوم الأوّل لدخول داعش المدينة قال رضوان لناصحيه بالرحيل: «أنا طلعتو بالثورة، وظليتو بالبلد، وراح أموت بها لبلد».

شهادة في رضوان السالم:

«صادق أمين كريم شجاع مثقف يتفانى لعمل الخير وللبلد. عنوانه العمل ومكانه في كلّ مكان فيه خير. خسرنا بفقده الكثير. أسأل الله أن يجعله في عليين.. ذلك هو الرجل الفذ الدكتور رضوان السالم، والرجال قليل».

رئيس سابق لمجلس دير الزور المحلّي.

في الذكرى الثانية لرحيله...
"عين المدينة" تشاهد حجّي مارع بعيون رفاقه

أحمد أبو زيد

لا يتبادر إلى ذهن متابع أحداث الثورة اليوم عموماً، وما يجري في حلب خصوصاً، من الشخصيات سوى الشهيد عبد القادر الصالح، أحد أبرز أيقونات ثورة الكرامة والحرّية. الذي تمكّن، ولواء التوحيد الذي كان يقوده، منتصف عام 2012، من تحرير أكثر من 70% من مدينة حلب بأسلحةٍ خفيفةٍ ومتوسطة.

الصورة بعدسة مصطفى سلطان

لم يكن موت الصالح أو «حجّي مارع» خسارةً لحلب وحدها، وإنما خسارةً للثورة ولسوريا وللسوريين. كيف لا وهو الثائر الذي يشهد له الجميع بمواقفه البطولية وحسن خلقه وطيب معاملته.

وتمرّ في هذه الأيام الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد الصالح الذي قضى، ومجموعةٌ من عناصر لواء التوحيد، متأثراً بالإصابة التي تعرّض لها بتاريخ 15/11/2013، إثر استهداف الطيران الحربيّ التابع لنظام الأسد مكان الاجتماع الذي كان يعقده مع قيادات اللواء في مدرسة المشاة بريف حلب الشماليّ.

وروى الزميل «مصطفى سلطان»، أحد الذين رافقوا الحجّي خلال مسيرته الثورية منذ بدايتها حتى آخر يوم في حياته، والذي كان مصوّراً حربياً في لواء التوحيد آنذاك؛ عدّة مواقف عن الصالح، متحدّثاً لـ«عين المدينة» عن طريقة معاملته للعناصر، واصفاً إياها بـ«الأخوية» حسب تعبيره.

المدنيون والناشطون خط أحمر

يقول سلطان إن الشهيد الصالح كان دائماً يوصي المقاتلين التابعين له بضرورة معاملة المدنيين معاملةً جيدةً والتواضع لهم، مؤكداً للمقاتلين أنهم يجب أن يكونوا حرّاساً للمدنيين ولممتلكاتهم الخاصة، ومشدّداً على أن العسكريين ليسوا جلادين، ولا يحقّ لهم الاستعلاء بالسلاح أو بالمعاملة.

وأكد سلطان أن أكثر ما أزعج الصالح من داعش ودفعه إلى الحديث عن ضرورة وضع حدٍّ لها هو قيامها بخطف الناشطين والاعتداء على الإعلاميين، وبعد أن سمع ورأى تجاوزاتها بحقّ المدنيين وتدخلها في أمورهم، ليعلنها صراحةً بعد خطف الناشط الإعلاميّ «عبد الوهاب ملا»، فطالب، في اجتماعٍ يضمّ قادةً عسكريين في اللواء يومها، بوضع حدٍّ للتنظيم.

خطته للقضاء على داعش

وروى سلطان أن أحد القادة العسكريين اقترح خلال الاجتماع المشار إليه أن يبدأ اللواء بشنّ حربٍ على التنظيم وقتاله، إلا أن الصالح رفضَ ذلك لعلمه بخبث داعش، واقترح أن يتمّ التخلص منها بطريقةٍ أخرى وهي استدراج قيادة التنظيم وعناصره إلى أحد المواقع البعيدة عن المدنيين وقتلهم فيه. مشيراً إلى أن الصالح قال خلال الاجتماع إن داعش لا تمثل الإسلام ولا دولته، فالإسلام رحمةٌ وعدلٌ وليس قتلاً وخطفاً وبطشاً.

ولفت سلطان إلى أن الحجّي قام بعدها بالاجتماع مع عدّة فصائل من الجيش السوريّ الحرّ والكتائب الإسلامية، ومن بينها حركة أحرار الشام، وعرض عليهم الأمر فوافقوا على قتال التنظيم بالطريقة التي اقترحها، إلا أن أحداً ما سرّب الخبر لتقوم داعش بعدها بشنّ الحرب على فصائل الجيش الحرّ.

كان بالمختصر «ثورة»

وتحدث «عُمير»، أحد مقاتلي لواء التوحيد سابقاً، عن شخصية الشهيد الصالح وبساطته التي وصفها بـ«غير المفهومة» وبأنها بعيدة كلّ البعد عن التفسيرات المنطقية والعقلانية، وكيف جمعت بين الهدوء واللطف والتمرّد والشدّة على الظلم والطغيان.

وأضاف «عُمير»: «كان إنساناً يدفعه شعورٌ خفيٌّ بالضرورة الملحة للانتفاض على الظلم، تلك الإنسانية التي تدعمها الفطرة الإسلامية الهادئة والجياشة في الوقت نفسه. عرفته في ثنايا حلب القديمة، وعلى سفوح الموت في ساحاتها، يتحاشى الكاميرات التي تلاحقه خوفاً على نفسه من أن يغترّ إن ذاع صيته. وأشهد أنه كان يكره المؤتمرات والكاميرات واللقاءات المطوّلة بعيداً عن وطنه، وكان يلوم أصدقاءه قائلاً: دعوني وشأني أنا وسلاحي وثورتي، وأبعدوني عن متاهات السياسة وأغوارها».

وتابع «عُمير»: «لم أذكر يوماً أنه تغاضب مع أحدٍ أو خاصمه إلا بادر قبل أن ينام إلى مصالحته وممازحته. فقد كان كثير المرح، حيوياً لا يعرف الكسل، قائداً بطبعه، لا يخشى الخطر، متأهباً للموت في أيّ لحظة. كنا نمازحه بما ذاع من صيتٍ عن أهل مدينته مارع بأنهم أرانب لكثرة حبّهم للجزر، فلم يكن منه إلا أن يضحك. كان، بالمختصر، ثورة».

أيديولوجيته هي مبادئ الثورة

بدوره قال الناشط الاعلاميّ «أُسيد باشا» أن الثورة السورية خسرت بفقدان حجّي مارع رجلاً كان أساس أيديولوجيته مبادئ الثورة ولا شيء آخر. معتبراً أن الشهيد سخّر فصيله، الذي كان الأكبر حينها في الشمال، من أجل هذه المبادئ، وجسّدها عملياً في تقرّبه وخدمته للشعب.

وأكد باشا أن هذا الأمر هو الشيء المفقود اليوم، في ظلّ هيمنة الأيديولوجيات الفكرية المختلفة على الساحة وبعدها عن هموم الشعب السوريّ.

بحماية داعش، طائراتٌ مروحيةٌ لخبراءِ نفطٍ في حقل تويـنان وشركة هيسكو حسواني تعاقب مهندساً بالإعدام بنيران التنظيم

تقرير خاصّ

في نهاية العام الفائت بدأ إنتاج الغاز في حقل تويـنان (80 كم جنوب الطبقة)، وبدأ كذلك تشغيل معمل معالجة هذا الغاز في الموقع الرئيسيّ للحقل ثم ضخّ الغاز الجافّ المعالج في المعمل عبر أنبوب النقل إلى محطة توليد الطاقة الكهربائية الخاضعة لسيطرة داعش قربِ مدينة حلب. نشرت «عين المدينة» آنذاك (العدد 38/ كانون الأوّل 2014) تقريراً خاصّاً عن مشروع تويـنان باعتباره نموذجاً للشراكة بين نظام الأسد وتنظيم داعش، وحدّد التقرير الدور الذي لعبته شركة هيسكو المنفذة للمشروع والمملوكة لرجل الأعمال جورج حسواني.

ونحاول هنا عرض الواقع الحاليّ لمشروع تويـنان ورصد التغيّرات التي حدثت خلال عامٍ من مباشرة الإنتاج فيه.

الحالة الفنية وتراجع الإنتاج

شهد الإنتاج اليوميّ من الغاز المستخرج والمعالج في حقل تويـنان تراجعاً كبيراً. إذ انخفض معدّله من حوالي مليون متر مكعب يومياً قبل عام إلى حدود 700 ألف قدم مكعب حالياً، وانخفضت بطبيعة الحال كميات المتكاثفات الغازية (الكوندينسات) من 2000 برميلٍ في اليوم إلى 250 برميل الآن.

في الأشهر الأولى من العام الحاليّ استقرت حصص تقاسم الطاقة الكهربائية المولّدة في محطة حلب الحرارية، المشغلة بغاز تويـنان، على نسبة 60% للنظام، و40% للتنظيم. وتفاوتت الاستطاعات المولّدة في المحطة حسب قدرة فريق الصيانة فيها على مواجهة التحديات المختلفة، من النواحي الفنية والأمنية واللوجستية. وكان للأعطال الفنية الطارئة، ودرجة توافر قطع التبديل اللازمة للصيانة، وكذلك كميات الوقود الغازيّ القادم من تويـنان وجودته؛ دورٌ رئيسيٌّ في عمل المحطة الذي توقف نهائياً بسبب قصف طائرات الأسد العشوائيّ لمحيطها حيث تقع وحدة استقبال الغاز القادم من تويـنان، والتي أصيبت في إحدى الغارات بأضرار بالغة أخرجتها عن الخدمة، لتتوقف بذلك إمدادات المحطة من الغاز وأوقف العمل فيها بشكلٍ كامل، مما أسهم في تعقيد ظروف العمل في مشروع تويـنان، إذ رفض التنظيم عرض النظام بضخّ الغاز من المعمل إلى شبكة النقل المغذية لمحطات توليد الكهرباء الأخرى. وبهذا صار الغاز المستخرج من آبار تويـنان والمعالج في المعمل هناك دون فائدةٍ لأحد، مما اضطرّ المهندسين الحقليين إلى التخلص منه بضخّه إلى شعلة الاحتراق، بانتظار ما ستسفر عنه المفاوضات والتفاهمات السرية بين شريكي هذا المشروع المتعنّتين داعش والنظام.

جانب من الحقل

قبل خمسة أشهرٍ من اليوم، هبطت طائرةٌ مروحيةٌ تحمل خبيراً فنياً موفداً من شركة stroy trans gas الروسية في محيط الحقل، وسط استنفارٍ أمنيٍّ لعناصر داعش. واجتمع الخبير مع كبار مهندسي شركة هيسكو بوصفها مقاولاً ثانوياً أمام الشركة الروسية، بحضور أبو بكر الأردنيّ أمير الحقل. وعلى الأرجح لم تكن طائرة هذا الخبير هي الطائرة الوحيدة التي هبطت في الموقع.

تؤكد الشهادات التي حصلت عليها «عين المدينة» من مهندسين وفنيين في المشروع على تراجع حادٍّ في الحالة الفنية لوحدات العمل الرئيسية والجزئية، إذ تتكرّر الأعطال المختلفة لأسبابٍ عدّة، يمكن إجمالها بما يلي:

1- عدم التزام شركة هيسكو بالشروط والمعايير الفنية في أعمالها المنفذة على مراحل خلال السنوات السابقة، قبل الثورة وبعدها، وخاصّةً الأعمال التي نفذتها بعد خروج الموقع عن سيطرة النظام.

2- تلكؤ هيسكو أو تباطؤها المتعمّد في تنفيذ الأعمال المتبقية، وخاصّةً بعد أن استلمت معظم مستحقاتها المالية من وزارة نفط النظام، إلى جانب مبلغ 120 مليون يورو كتعويضاتٍ نتيجة تعرض بعض معدّاتها وتجهيزاتها للنهب إثر خروج الموقع عن سيطرة النظام في عام 2013. فيما تذهب تفسيراتٌ أخرى إلى أن التهديد المتمثل في ضربات التحالف الدوليّ، وخاصّةً مع تصاعد حدّتها واتساع دائرة استهدافها للمنشآت النفطية الواقعة تحت سيطرة داعش، كان عاملاً في دفع هيسكو إلى التهرّب من إكمال الأعمال، بانتظار

ما ستسفر عنه هذه الضربات ونتائج الحرب بشكلٍ عامّ.

3- تراخي قبضة وزارة نفط النظام وتراجع قدرتها على إلزام هيسكو أو إلزام شركة stroy trans gas الروسية -وهي المقاول الرئيسيّ الذي كلف هيسكو بالأعمال كمقاول ثانويّ- بالتنفيذ وفقَ برنامجٍ زمنيٍّ مناسب. إذ تتهرَّب هيسكو حتى الآن من إكمال العمل بوحدة التحكم الرئيسية وبعض الأعمال المتمّمة لوحدة فصل مكوّنات الغاز بذريعة عدم توافر التجهيزات اللازمة.

في محاولاتها الخاصّة لحلّ مشكلة لوحة التحكم المركزية استدعت داعش أبو عبد الله الباكستانيّ، أحد خبرائها المزعومين من الهيئة العليا في ديوان الركاز، ولكنه فشل في التغلب على المشكلة لعدم توافر ما يكفي من التجهيزات.

المكاسب الحالية لداعش

انخفض حجم المنافع التي يجنيها التنظيم من مشروع تويناں إلى حدٍّ كبير خلال عام. وهي تقتصر اليوم على ما يلي:

- المنتج من المتكاثفات الغازية بمعدّل 250 برميلٍ يومياً، يزيد ثمن الواحد منها على 60 دولاراً أمريكيّاً. وكذلك يستفيد التنظيم من إمدادات المشتقات النفطية (مازوت وبنزين) التي تنقلها شركة هيسكو إلى موقع المشروع لتشغيل مركباتها وآلاتها هناك، اذ يقاسم التنظيم هيسكو بأكثر من نصف صهاريج المازوت والبنزين (المستورد أو المكرّر في المصافي الحكومية) كلّ أسبوعٍ أو أسبوعين.

- استعمالُ الآلات والمعدّات الخاصّة بشركة هيسكو في مواقع نفطيةٍ أخرى تحت سيطرة التنظيم.

- المبالغ الشهرية التي تدفعها هيسكو لقاء الحماية المفترضة التي تقدّمها داعش لآلات ومعدّات الشركة.

الكادر البشريّ في الحقل

قلصت الأطراف الثلاثة؛ داعش والشركة السورية للغاز وشركة هيسكو، عدد عناصرها في الحقل الذي يوجد فيه بشكلٍ دائم ثلاثة مسؤولين فقطٍ من داعش هم أبو بكر الأردنيّ أمير الحقل، وأبو يحيى الأردنيّ «شرعي الحقل»، وأبو الحسيب الجزراوي -سعودي الجنسية- أمير حسبة الحقل. بالإضافة إلى عشرات العناصر الذين يعملون في الحراسة. وانخفض عدد موظفي شركة هيسكو إلى أقل من 250، بين مهندسٍ وفنيٍّ وعاملٍ، وانخفض عدد موظفي الشركة السورية للغاز إلى حوالي 200 موظفٍ، والعدد مستمرٌّ في الانخفاض. ويعود هذا التراجع الحادّ في الأعداد إلى تراجع اهتمام داعش بالمشروع ككلّ بسبب تقلص مكاسبها منه إلى حدٍّ كبير، وكذلك عجز كادرها النفطيّ الخاصّ عن حلّ بعض المشكلات الفنية التي لم تتمكن شركة هيسكو من حلها أو تملصت من ذلك. فيما يفسَّر تراجع عدد موظفي السورية للغاز (النظام) إلى تراجع المكاسب أيضاً، ونزوح عشرات المهندسين، وأضعاف هذا العدد من الفنيين والعمال، إلى تركيا أو هجرتهم غير الشرعية إلى أوربا. عاملٌ آخر لعب دوراً رئيسياً في ترك هؤلاء الموظفين أعمالهم، وهو تنفيذ داعش حكم الإعدام بالمهندس طه العلي، مدير المشروع المكلف من الشركة السورية للغاز.

المهندس طه العلي

في أيار من العام الحاليّ أعدمت داعش المهندس طه، بعد اعتقاله من الموقع أثناء عمله، وسجنه ثم إصدار الحكم عليه بتهمة الاستهزاء بالإسلام والتعامل مع «النظام النصيريّ». وتكشف هذه الحادثة عن حقائق مؤسفةٍ في الطبيعة الإجرامية لسماسرة بشار الأسد وشركائه (النفطيين في هذه الحال). إذ ترجّح شهادة مهندسٍ سابقٍ في مشروع تويناں حضر الإعدامَ، وعلى معرفةٍ كاملةٍ بسير الأعمال الفنية في المشروع والعلاقة المتوترة بين العلي ومدراء هيسكو المتنفذين، أن سبب الإعدام هو رفض الأخير التوقيع على تسلم بعض أعمال الصمّامات التي نفذتها هيسكو، لعدم مطابقتها لدفتر الشروط والمواصفات الفنية، وبالتالي إعاقته استلام الشركة مستحقاتٍ ماليةٍ مفترضةٍ من وزارة نفط النظام مقابل تلك الأعمال، الأمر الذي دفع هيسكو إلى التخلص من العلي بأيّ طريقةٍ كانت، وهو ما حدث بالفعل على يد عناصر داعش الذين استجابوا لرغبة هيسكو، أو بعض مدرائها، ليعتقل العلي وتفتش محادثات هاتفه النقال، وهو السلوك المعتاد لداعش في أيّ اعتقال، ثمّ يسجن ويحكم عليه بالموت عقوبةً على رفضه مسايرة هيسكو والرضوخ لمطالبها.

أعدم المهندس طه العلي في ساحةٍ من ساحات الموقع. ونفذت الحكم مجموعةٌ خاصّةٌ من عناصر داعش رافقته من سجنه في مدينة الرقة. أطلق أحد هؤلاء العناصر طلقتين في رأس العلي، ثم أطلق أمير الحسبة في الحقل، أبو الحسيب، طلقتين أخريين في رأس الرجل المتوفى بالطلقة الأولى.

الذهب الأخضر

سلوى عبد الرحمن

هي قصّة حبٍّ قديمةٌ تربط أبو حسن وحقله المبارك. سنةً بعد سنةٍ تكبر شجيراته، فتبادل معهنّ العطاء طيلة عمره. يجني أبو حسن، ذو الثمانين عاماً، موسم غراسٍ زرعها قبل خمسين عاماً: «علاقتي بهذه الشجرة تماماً كعلاقتي بأولادي، أرعاها وتعيلني، أقدّم لها وتعطيني، أرويها بعرق ساعدي فتغدق عليّ بخيراتها وعطائها».

يحدثنا أبو حسن، وهو يتأمل حبّات الزيتون التي تداعبها نسمات الهواء الباردة في صباح خريفيٍّ، ويقول: «يلجأ أغلب المزارعين في سوريا إلى القطاف اليدويّ بالرغم من الصعوبات التي نواجهها، من تأمين عمالٍ للقطاف ومعدّاتٍ بدائية. فهو محصولٌ سنويٌّ إن لم نحسن قطافه لن تثمر الشجرة في العام الذي يلي».

إذ تؤثر طرق قطاف الزيتون ونقله على جودة المحصول ونوعية الزيت. وتختلف هذه الطرق من مزارع إلى آخر، فهناك القطاف اليدويّ والقطاف بالعصا والقطاف الآليّ. ويعدّ القطاف اليدويّ أفضل الطرق وأقلها تأثيراً على حبات الزيتون، في حين أن الضرب بالعصا يؤذي الشجرة ويجرحها ويكسر أغصانها، كما يؤدّي إلى ضياع كمياتٍ كبيرةٍ من الثمار، وكذلك يزيد نسبة الإصابة بذبابة أغصان الزيتون. أما القطاف الآليّ، الذي يعتمد على هزّ الجذع (أمشاط آلية)، فلم يلقَ اهتماماً من المزارعين لأنه يتطلب أن تكون الأشجار على ساقٍ واحدةٍ وذات شكلٍ هرميّ، في حين أن معظم الأشجار في سوريا لها شكلٌ كرويٌّ وتمتلك أكثر من ساق، بالإضافة إلى صعوبة نقل هذه الآلات إلى حقول الزيتون، خاصّةً بعد هطول الأمطار، وارتفاع أسعار هذه الآلات.

بعد القطاف ينقل المزارعون محاصيلهم إلى السوق وإلى المعاصر، التي تعتمد على الضغط (المكابس) وتعمل بمبدأ الطرد المركزيّ الحديث، وتعصر الزيتون على البارد، ويطلق عليه «زيت عذري» أو «بكر». وقد بلغ عدد المعاصر في سوريا حوالي 1097 معصرةً تقريباً. أما عن موسم هذا العام فيقول أبو علي الأكتع، وهو تاجر زيتٍ في سلقين: «من المتوقع أن تغطي كميات الزيت احتياجات القطر. يجني المزارعون هذه السنة أرباحاً أفضل مما كانت عليه في الموسمين السابقين، بسبب الهطولات الجيدة للأمطار وعودة الأمن إلى أغلب الأراضي الزراعية بادلب. وقد بلغ إنتاج الشجرة الواحدة ما يقارب 25 كيلو زيت وسطياً، في إدلب التي تعدّ أولى المحافظات في الإنتاج. وبلغ سعر الكيلو 250 ليرة سورية، أما سعر التنكة فوصل إلى 13 ألف ليرة».

يقول أبو حسن، أحد التجار في مدينة إدلب: «قمنا بشراء كمياتٍ كبيرةٍ من محصول هذا العام -طبعاً بعد التأكد من جودتها- بسعرٍ يتراوح بين 10 و11 ألف سورية ليرة للتنكة الواحدة، لأن الأسعار سترتفع على الغالب بسبب تراجع العملة السورية. سنبيع بعضها في الأسواق المحلية والبعض الآخر سنخزّنه ريثما نحصل على صفقة تصديرٍ مناسبةٍ إلى الأسواق الخارجية».

حدّثنا المهندس الزراعيّ رياض أحمد: «يجب أن لا يترك الزيتون أكثر من ثلاثة أيام قبل عصره، كيلا تحصل تخمّراتٌ تحوّل لونه الأخضر إلى أسود. وبعد عصره يجب التقيد بتعبئته بعبواتٍ معدنيةٍ مغلفةٍ وعدم استخدام العبوات البلاستيكية، حتى لا تتأثر جودة الزيت».

وألقت الأوضاع السورية بحملها على إنتاج الزيت في القطر، وخاصّةً في المناطق المتوترة. فوصول المزارعين إلى حقولهم بات أمراً محفوفاً بالمخاطر، فضلاً عن اضطرار الكثير منهم إلى الرحيل عن بلداتهم، لتصبح أشجار الزيتون تحت رحمة حطابي خشب التدفئة، أو تركت كما هي دون عنايةٍ أو سقاية.

أما عن كيفية تلافي المشاكل التي تواجه هذه الزراعة فيضيف المهندس رياض: «تجب المحافظة على استمرار زراعة حقولٍ جديدةٍ من أشجار الزيتون، وخاصّةً الأنواع السورية المعروفة بإنتاجيتها العالية، لأنها تعدّ من أفضل السلالات في العالم، واستيراد الأصناف التي تتناسب مع البيئة والمناخ السوريّين. وتجب إعادة زراعة الحقول التي حرقها النظام أو الحطابون. بالإضافة إلى زراعة الأصناف التي يمكن أن تنمو في المناطق الشرقية من سورية، وبالتالي الاستفادة من مساحاتٍ شاسعةٍ شبه جرداء. ويجب أن تفتح المعابر، وخاصّةً مع تركيا، لتصدير الزيت إلى الخارج وتأمين الأدوية والمبيدات الحشرية والأسمدة لتطوير هذه الزراعة». ويضيف: «علينا تشديد الرقابة على الزيت المتوافر في الأسواق منعاً للغش وللمحافظة على سوية واسم الزيت السوريّ».

تحدثت أغلب الديانات عن هذه الشجرة المباركة التي عُدّت أغصانها رمزاً للسلام، ووجدت منذ أن وجد الإنسان. ووُصفت بالذهب الأخضر لأنها تعني النماء والعطاء والخير الوفير.

ريف إدلب الشمالي - خاص

دمشق... بيع الذكريات

بيوتٌ وأثاثٌ مستعملٌ وقططٌ للبيع على الفيسبوك

رامز دوماني

صفحاتٌ عديدةٌ للبيع على موقع التواصل الاجتماعيّ فيسبوك والمباع واحد، «أغراض السوريين» الذين قرّروا الرحيل إلى بلادٍ أخرى. ليس أثاث البيت وحده ما تعرضه هذه الصفحات، بل ذكريات حياةٍ كاملةٍ قضاها زوجان وهما يضعان الليرة فوق الأخرى لبناء مكانٍ صالحٍ لاستيعاب المستقبل، مكانٍ أفلت من زحام القذائف والصواريخ ولم يستطع الإفلات من السماسرة.

يزيد عدد هذه الصفحات على 25 صفحة، كما يقول محمد محمود، أحد الوسطاء الذي يمارس عمله من خلالها. ثمّة صفحة تدعى «بيعة وشروة» تختصّ ببيع «الأواعي» (الثياب)، وأخرى للموبايلات، وهكذا حتى تشمل الصفحات المنزل السوريّ كاملاً، من أحذية الصغار إلى كلّ ما جمعه الكبار.

يقول محمد: غالباً ما يستعين بي الأصدقاء والجيران الذين ينوون السفر إلى الخارج، فأنا موجودٌ دائماً على تلك الصفحات، وتبدأ عمليات البيع والبازار. هناك الكثير من الأشخاص الذين يعرضون أغراضهم بأسعارٍ رخيصةٍ بحجّة «البيع بداعي السفر»، ولكن الأمر ليس كذلك دوماً، فقد تكون هذه العائلة مضطرّةً للبيع لتتمكّن من إخراج ابنها المطلوب للخدمة الإلزامية أو الاحتياطية إلى خارج سورية، أو لدفع مبالغ كبيرةٍ لمعرفة مصير أحد أفراد العائلة المعتقل.

اضطرّت زيّادة، وهي موظفةٌ حكوميةٌ تقيم في دمشق، إلى عرض جميع ممتلكاتها من أثاثٍ وملابس وأدواتٍ كهربائية لبيعها بأرخص الأثمان نتيجة انهيار الليرة وارتفاع الأسعار الجنونيّ مقارنةً براتب الموظف الثابت في حدود 100–60 دولارٍ أمريكيٍّ. وفضلاً عن الأثمان البخسة المعروضة عليها مقابل «بضاعتها»، اضطرّت زيادة إلى ترجّي مختار حيّها ومختار حيّ المشتري والحواجز الأمنية والعسكرية بينهما، دون جدوى، ففشلت عملية البيع كلها نتيجة تعثر الحصول على الموافقات المطلوبة لنقل الأغراض، مما اضطرّها إلى عرضها داخل حيّها وتخفيض ثمنها مرّةً أخرى وإلى حدٍّ كبير. خطّطت زيادة أن تدفع تكاليف رحيلها عن الشام دون الاستدانة من أحد، لكنها فشلت في ذلك بسبب صفقة البيع الخاسرة.

تقول وردة الياسمين، وهي عضوٌ في مجموعة «أواعي للبيع»: «يُنشر يومياً حوالي 100 بوست، كلها لناس من الشام يُبقون لأنفسهم ما يلزمهم في رحلتهم فقط ويعرضون الباقي للبيع، وببلاش»، حسبما تقول وردة التي صارت «خبيرة» في أسواق «البالة الإلكترونية».

وتعرض مجموعاتٌ أخرى حيواناتٍ منزليةً، مثل مجموعة «حيوانات أليفة: بيع شراء تبني في سوريا»، والتي يبلغ عدد أعضائها أكثر من 23 ألفاً، وتضمّ مجتمعاً كاملاً من المهتمين بالقطط والكلاب والطيور المنزلية. وتبيّن، من خلال منشوراتها، تغيّر «عالم الحيوانات» بفعل عوامل الحرب والرحيل والهجرة. تقول دانا الشامي: «في هذه الصفحة يتمّ بيع وشراء الحيوانات، وكذلك يتمّ أحياناً استعارة القط أو الكلب للقاح الأنثى مقابل مبلغٍ ماديٍّ يتمّ الاتفاق عليه وعلى الملأ. كما يقوم أدمن الصفحة بنشر معلوماتٍ عن كيفية التزاوج وطرق تربية الطيور والأمراض المشتركة بين الحيوانات والإنسان».

وتقدّم صفحات ومجموعات العقار رصداً متجدّداً للأسعار وحال السوق، فتكشف عن ارتفاع عدد البيوت المعروضة للبيع مقابل الطلب المنخفض، على الرغم من هبوط أسعارها إلى حدٍّ كبير. وتأخذ صفحاتٌ ومجموعاتٌ أخرى دور الوساطة لشراء وبيع السيارات، فالكثير من الأشخاص بدأوا ببيع سياراتهم إما للسفر خارج البلد، أو لدفع مبلغ لأبنائهم لإخراجهم من دمشق بسبب الخدمة الإلزامية أو الاحتياطيّة، أو خوفاً عليها من التشليح من قبل الشبّيحة، أو لعدم تعرّضها للقذائف التي تمطر دمشق، وبالتالي يكلّف تصليحها أكثر من ثمنها. تحدث عمر وائل عن تلك الصفحات قائلاً: غالباً ما يتمّ تحديد سعر السيارة بناءً على سعر الدولار، «مع سكّرة». فالسيارة التي كان سعرها قبل الثورة 600 ألف ليرة، كالكيّا ريو، أصبح سعرها، في دمشق، لا يقلّ عن مليونين إذا كانت متوسطة النظافة أو يعيبها شيءٌ ما، أما إذا كانت خاليةً من الجراح فيقارب المليونين ونصف.

يقول محمد سعيد، أحد تجار العقارات بدمشق: «انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعيّ الكثير من الصفحات المختصّة ببيع واستئجار العقارات، كـ«ساندي للعقارات» و«تسنيم للعقارات» و«عقارات للبيع في دمشق». وهناك صفحاتٌ تختصّ بمناطق معينة، كـ«عقارات المزة» و«عقارات جرمانا» وغيرها من المناطق. ولكن في النهاية الهدف واحد: بيع أو استئجار العقار».

مربّع المعدن الديريّ

سهيل نظام الدين

الضلع الأول: في فقه المسرّة

سيمكننا دائماً أن نسخر من كلّ شيء، سنختصر النعوت إلى مفرداتٍ لا يفهمها سوانا، وسنحمّل الأسماء ما بعد معانيها.

في دير الزور ثمة أدواتٌ لغويةٌ خاصّةٌ للسخرية، أكثرها مغرقٌ في البذاءة، وقليلها يتوخى الحشمة لكنه يكفي لأداء المهمة في حضور من يجب أن نكون حذرين بكبح جماح ألسنتنا أمامهم. وكحال أيّ مجتمع متمدّن هناك أيضاً توريات لا يفهمها ويتقنها إلا من ولد ناطقاً بتلك اللهجة الخشنة. وهي لا تقف عند حدود الآخر ووجوده المعرّض لفهم «الآخر» الخاصّ، بل تعود لتسقط على الذات الساخرة نفسها.

نحن نوسع أنفسنا نقداً لاذعاً. وقد نستاء إن لم يتجاوب من نسخر من حالنا أمامه بضحكة أو إضافة تعمّق المعنى وتؤكّد الانتماء إلى الحال الشخصيّ المتروك طوعاً لسياط الكلام الملغز، لا بدّ أن يكون جزءٌ مني فيك كي يمكنني مواصلة تسليتك الودودة بما أراه... «حظّي الفاين».

ألم تكن دير الزور من أبرع المدن في التظاهر ضد الأسد وأسرعها قطعاً مع زمان ما قبل الثورة بسيلٍ من الهتافات التي لم تترك خطّ رجعة؟ هو انقلابٌ في صورة مسيرات الإرغام أيام حكم الأسد الأب بهتافاتها المحوّرة بدافع اليأس إلى فعلٍ يقطع كلّ علاقةٍ كانت مع زمان اللاجدوى الأسديّ.

الضلع الثاني: في فنّ الغضب

لا نضرب بتكتيكٍ مدروسٍ غالباً، الهدف الأوّل هو إشغال الخصم بآلامه، ثم سيكون هناك متسعٌ من الوقت لوضع خطة إنهاء المعركة أثناء احتدامها.

القتال عادةٌ وليس موهبة، وهو ما يجعل كلّ ما يمكنه إلحاق الضرر أداةً متاحة. وفي الشجار الديريّ يكون الأغلى والأخطر هو أوّل الاسلحة، فنحن نستخدم رؤوسنا وجباهنا منذ اللحظة الأولى ضد رأس وجبهة عدوّنا.

ألا يفسّر هذا سرعة انتشار القتال في المدينة بعد أوّل اجتياحٍ أسديٍّ في صيف 2012؟ كانت فروع المخابرات وقطعات الجيشِ داخل الدير وعلى أطرافها هدفاً لمجموعات الجيشِ الحرّ الناشئة، وصارت شوارع المدينة متحفاً لخردة الدبابات سريعاً، بينما كانت مدفعية الجبل تصلي الأحياء والأموات بقذائفها.

الضلع الثالث: ليبرالية عباءة الحبر

لا سبيل لإقناع عجوزٍ ديريةٍ بما لا تريد. حتى وهنّ الآن مشرّداتٌ بين منافٍ متكرّرةٍ وديرين محتلتين من داعش والأسد، فهنّ يجدن دائماً وسائل إيصال الشيفرات الاجتماعية التي تجعل دير الزور مكاناً قد يصلح لعودة الحياة إليه يوماً ما.

هنّ رأس هرم العلاقة بين أجيال المدينة، وهنّ هيئة التنظيم الأكثر فعاليةً لمسار الحياة وقوّتها وأسرارها وفضائحها، هنّ القادرات وحدهنّ على فرض جدول يوميات المدينة حتى تحت القصف.

سيظلّ مقاتلو الجيش الحرّ -من بقي حيّاً منهم- يذكرون المهمة المستحيلة لفرض حظر تجوّل في أسواق المدينة ليلاً كي يمكنهم مواصلة القتال بثقة عدم تحوّل نساء الدير إلى دروع بشرية يحتمي بها عناصر المخابرات... وسيصعب تفسير مشاعر مسلّح غاضب يتلطّى لحاجز عسكريٍّ وهو يتلقى نظرة غطرسةٍ من وراء عباءة حبرٍ لا يملك من أمره شيئاً سوى انتظار مرورها.

الضلع الأخير: نعي سرادق الهزيمة

سقطت آخر قلاع الأمل، إنّه وقتٌ مخيفٌ يمرّ في الشوارع الفاصلة بين ضفتي مدينةٍ مدمّرةٍ ومحاصرة. مقتلةٌ على الجانبين، قصفٌ وجوع، عجزٌ كاملٌ لمدينةٍ تنزف أهلها كلهم للمرّة الرابعة خلال خمس سنوات.

في هذا الخواء المسوّد على جانبيه، تبخرت الرغبة العميقة في السخرية؛ بعد أن بات الجميع في «واحد» طفل جائع وخائف و«واحد» أب عاجز عن كسرة الخبز وحبة الدواء.

لم يعد للديريّ العاديّ سلطةٌ على أدوات غضبه وهو يخيّم بذراعيه على كوم من اليأس والنكران والعزلة بين فكي ملزمة الجوع والقهر... صار عليه أن يضرب رأسه وجبهته بالمستحيل لا ليغرق عدوّاً في آلامه بل ليتلقى جزءاً من آلام حبيبةٍ مريضةٍ أو ولدٍ يريد قطعة حلوى.

عباءات الحبر الفاخرة صارت خياماً تستر العظام المنهكة والحزن العميق. العجائز لا يجدن ذواتهنّ المترفعة إلا إزاء «الويلاد» الذين مهما كان نوع السلاح بين أيديهم يظلون أبناء رجالٍ ونساءٍ تعرفهنّ العجوز العابرة أمام حاجز الجيش الحرّ، وهذا ليس الحال أمام غرباء الشبيحة وداعش القتلة.

هل هزمت دير الزور حقاً؟

ليس سؤالاً يمكن طرحه... هي ذروةٌ أخرى في رحلة قطع العلاقة مع ما كان دون وجود بديل.. ألم نقل إننا نبدأ الشجار عادةً دون تكتيكٍ مدروس؟

ضربناه برأسنا... وعندما سنفيق من دوارنا المنهك ونجده واقفاً قد نضربه برأسنا مرّةً أخرى ثم نبحث عن عبارةٍ بذيئةٍ نصف فيها أيام الأسد وداعش.

ليلة باريس الطويلة وليلنا الأطول

يمكن النظر إلى هجمات ليلة الجمعة 13\11\2015 في باريس على أنها «11 أيلول داعش»، كما هي 11 أيلول فرنسا.

بكر صدقي

إذ كان التنظيم الإرهابيّ الذي أعلن «دولة الخلافة»، قبل عام ونصف، على مساحاتٍ واسعةٍ من العراقَ وسوريا، يركّز جلّ اهتمامه على توطيد سلطانه البربريّ على سكان هذه المناطق، وقضم مزيدٍ من الأراضي المجاورة، إن تمكن من ذلك، وكسب المزيد من المقاتلين المبايعين من مختلف أنحاء العالم، ومحاربة «العدوّ القريب» (وفقاً لقاموس الجهادية العالمية). ولكنه يبدو الآن، لأسباب يمكن الجدال حولها، وقد بدأ مرحلةً جديدةً تتمثل في محاربة «العدوّ البعيد». فقد توعّد التنظيم في بيانه حول «غزوة باريس» بالقيام بمزيد من الاعتداءات في فرنسا وغيرها من «بلاد الكفار».

هذا نوعٌ من عودٍ على بدء نهج منظمة القاعدة في عهد مؤسّسها أسامة بن لادن، التي افتتحت القرن بغزوة نيويورك في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، ثم توالت غزواتها في مدريد ولندن والمغرب وإسطنبول وغيرها من العواصم، انطلاقاً من أرضها «المحرّرة» في أفغانستان. وكان فرع القاعدة في اليمن وشبه الجزيرة العربية هو من تبنى الاعتداء الإرهابيّ الذي استهدف مجلة شارلي إيبدو في باريس، مطلع العام الجاري.

اعتداء أنقرة الانتحاريّ في العاشر من شهر تشرين الأول الماضي، وقبله اعتداء سروج جنوب تركيا، في شهر تموز، وديار بكر في مطلع حزيران العام الحاليّ؛ تختلف في حيثياتها عن اعتداءات باريس، من حيث أنها استهدفت جهةً سياسيةً بعينها: حزب الشعوب الديموقراطيّ- الواجهة السياسية التركية لحزب العمال الكردستانيّ الذي يقاتل فرعه السوريّ (PYD) تنظيم داعش في شمال سوريا وشمالها الشرقيّ، فضلاً عن أن الاعتداءات الثلاثة وقعت في جغرافيةٍ مجاورةٍ لـ«الدولة الإسلامية»، متداخلةٍ معها بعوامل كثيرة. في حين أن غزوة باريس استهدفت «عاصمة الرذيلة» في العالم كما جاء في بيان داعش، برموزها المتمثلة في المسارح والمطاعم والمقاهي وملاعب كرة القدم. ومن خلال هذه الرموز استهدفت الاعتداءات الدولة الفرنسية أب العلمانية الغربية وأمها، تلك الدولة التي «تحارب بطائراتها الدولة الإسلامية» كما سوّغ البيان.

لدينا، إذن، «دفاع عن النفس» من جهة، ومحاربة «الرذيلة والعلمانية الكافرة» من جهةٍ ثانية، كما يعلن بيان المنظمة الإرهابية التي تمتطي «الإسلام»، بعد تأويله بما يلائم غاياتها، أيديولوجيةً لتسويغ الحكم والحرب. هذا يعني حرباً مفتوحة على العالم بأسره، بغربه وشرقه، وشماله وجنوبه، ما دام هناك تحالفٌ من ستين دولةً عبر العالم، بقيادة الولايات المتحدة، يحارب «الدولة الإسلامية»، وما دامت كلّ مجتمعات العالم المعاصرة منغمسةً في «الرذيلة» وعلمانيةً كافرة، إلى هذا الحدّ أو ذاك، وفقاً لمعايير داعش. هذا يعني نهاية الشعور بالأمان في أيّ مكانٍ في العالم، في الحواضر الغربية بصورةٍ خاصّة، ولكن ليس فيها وحدها. هذا ما ظهرت نتائجه سريعاً في باريس نفسها بعد أقلّ من يومين من ليلتها الطويلة الدامية، حين كانت إشاعةٌ كاذبةٌ عن وجود قنبلةٍ كافيةً لبثّ الهلع في ساحة الجمهورية المزدحمة. ما يعني تحقق أحد أهداف داعش من غزوة باريس: تحويل حياة الناس إلى كابوسٍ دائم من الرعب، وإنتاج حالة طوارئ ترفع حريات الأفراد وحقوقهم على الرفّ كحال بلدان العالم الثالث.

هذا، على أيّ حال، ما أعلنه الرئيس الفرنسيّ كسياسة دولةٍ في حالة حرب: حال الطوارئ في الداخل الفرنسيّ وضرباتٌ جويةٌ انتقاميةٌ استهدفت مدينة الرقة بدعوى محاربة داعش. وكأن تجربة الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب منذ ١٤ عاماً لم تكن كافيةً لإدراك أن مشكلة الإرهاب أكثر تعقيداً من أن يتمّ حلها بالفظاظة العسكرية. خليةٌ نائمةٌ واحدةٌ يمكنها أن تحوّل أيّ عاصمةٍ إلى جحيمٍ في غضون ساعةٍ واحدة. وهذا ما لا تجدي معه الأساليب العسكريّة مهما تطوّر السلاح والعتاد والتدريبات.

هل هي المصادفة وحدها أن مجزرة باريس المروّعة وقعت عشية اجتماع فيينا المخصّص لبحث سبل حلّ المشكلة السورية؟ على أيّ حال، لا يمكن إنكار أثر الليلة السابقة في العاصمة الفرنسية على سرعة توافق المجتمعين على ضرورة وقف الحرب، وإن كان المعسكران الدوليان حافظا على خلافاتهما بشأن مصير رأس النظام الكيماويّ.

لا يتسع المجال هنا لتعليق مفصّل على توافق فيينا. نكتفي فقط بتسجيل هذا الإجماع المفاجئ بين الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن حول إصدار قرار بوقف إطلاق النار، لن يشمل داعش والنصرة، ويكون بضمانة الدول الداعمة للأطراف المتحاربة. في ظني أن هذا ما كان ممكناً لولا ليلة باريس الطويلة الدامية. بمعنى أن الدول العظمى أدركت أخيراً الكلفة الباهظة لاستمرار الصراع في سوريا، بعدما وصلت شراراته إلى قلب عالمهم.

عسى أن يكون هذا بداية النهاية لليل سوريا الأطول.

دفاعاً عن إعلام الثورة

ناصر عنتابي

من على منبره الفيسبوكيّ، هجا أحد مشاهير التواصل الاجتماعيّ من الكتّاب ما أسماه: «أكشاك الثورة الإعلامية المفتوحة في تركيا». وكذلك خصّص صحفيٌّ وسيناريست معارضٌ مقالةً طويلةً لشتم المعارضة التي هي «أسوأ من النظام»، «شارحاً» دور وسائل الإعلام الثورية في التآمر على الثورة، لأنها تتبع لشبكات المخابرات الغربية، على حد وصفه. وفي حين احتفل المعلقون على الأوّل ببوسته الثوريّ هذا؛ اعتبر مريدو الثاني مقالته جرأةً ما بعدها جرأة. وكذلك فعلت مواقع تشبيحيةٌ موالية حين أعادت نشرها رغم صدورها على صفحات أحد المواقع المدعومة من دولة قطر.

لا حاجة للقول هنا إنّ الحديث عن حال المعارضة وتشكيلاتها «السياسية» بات ترداداً للصدى ولزوم ما لا يلزم، فقد أصبح من جملة المعتاد شتم الائتلاف والمجلس الوطنيّ من قبله، ولهذا حديث آخر. لكن أن يصل الحال إلى اعتبار وسائل إعلام الثورة جزءاً من مؤامرةٍ «هدفها شراء ذمم وخلق شبكات للتلاعب بالعقول وإدارة وتوجيه الرأي العام» فهذا شيء يستحقّ التوقف عنده وعند متفوّهيه.

عندما كانت مظاهرات يوم الجمعة الثورية في أوجها، دفعت الحاجة إلى نقل أحداث المظاهرات والاعتقالات والاقتحامات الآلاف من الشباب السوريّ إلى التحوّل إلى مواطنين صحفيين، من خلال التواصل مع وسائل الإعلام ونشر الأخبار والفيديوهات على الفيسبوك واليوتيوب. وكانت تهمة التواصل مع «القنوات الإعلامية المضللة والعميلة» إحدى أشهر التهم التي اعتمدها النظام لتغييب آلاف الشباب في المعتقلات. تطوّر الأمر لاحقاً إلى تأسيس المراكز الإعلامية المستقلة أو المرتبطة بالتنسيقيات الثورية بحسب كلّ منطقةٍ وضمن إمكانياتٍ متواضعة، في ظلّ نقص في الخبرات والمعدّات، والرقابة على الإنترنت أو انقطاعه. ومع توسّع الثورة وظهور الجيش الحرّ وتحرير العديد من المناطق من قبضة النظام، كان التوجه العام في المجتمعات المحلية إلى خلق بنىً جديدةٍ لإدارة هذه المناطق، فتأسّست المجالس المحلية والمنظمات الأهلية التي جاءت بتلقائيةٍ لتعوّض عن غياب السلطة البائدة، ولتحافظ على قدرٍ من دوام طبيعية الحياة رغم استمرار مجازر النظام. وبغضّ النظر عن تجربة المجالس والهيئات المحلية التي يطول الحديث عنها؛ إلا أنّ هذه الفترة شهدت أيضاً بداية تحول العمل الإعلاميّ الثوريّ، من اقتصاره على أخبار القصف والاعتقال السريعة على صفحات الإنترنت، والعناوين الفضفاضة لبعض القنوات الإخبارية المهتمة بسوريا، إلى صيغ أكثر قرباً وملامسةً للمجتمعات الأهلية الثورية وحراكها المدنيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ والعسكريّ، مدفوعاً بضرورة تأسيس إعلام مواجهٍ لإعلام النظام المعروف. فضلاً عن ضرورة ظهور وسائل إعلاميةٍ تمكن طباعتها وتوزيعها، في ظلّ انقطاع الكهرباء والإنترنت والاتصالات شبه المتواصل التي عانت وما زالت تعاني منه معظم المناطق المحرّرة. هكذا إذاً ظهرت الصحف والمجلات الثورية، ومواقعها الالكترونية لاحقاً، كجزءٍ من بنية الثورة.

من باب الموضوعية، يتعيّن القول إنّ المؤسّسات الإعلامية الثورية، على تفاوتها وتواضع إمكانياتها، لم تصل بعد إلى درجةٍ كافيةٍ من النضج ولا الشعبية اللتين تستطيع بهما منافسة وسائل الإعلام العالمية والعربية التي يتطلب نقاد الصحافة الثورية منها أن تنافسهم، وإلا لا يحتسبونها ضمن وسائل الإعلام. كما أنه ليس من السهل قياس مدى «تأثير» هذه التجربة الإعلامية على «المواطن السوريّ» خلال السنوات الثلاث التي شهدت انطلاق معظم الصحف الجديدة، وضمن الظروف المتغيّرة للثورة والحرب، وبيئة العمل الصحفيّ التي تعدّ الأخطر في العالم، إذا لم نرد الحديث عن مشاكل الحصول على تمويل والطباعة والتوزيع وملاحقة الصحفيين والمنع في بعض الأحيان. ومع ذلك؛ حققت المطبوعات الثورية اليوم، ومواقعها الإلكترونية، تطوّراً ملحوظاً على المستوى المهنّي لا تخطئه عين المتابع من ناحية، وعلى مستوى هامش الحرّية المتاح ضمنها من جهة المواضيع، ومن ناحية نشر آراء وتعقيبات نقادها و«متابعيها» على صفحاتها إن أرادوا من ناحيةٍ أخرى، وهذا ما حدث غير مرّةٍ على هذا المنبر وسواه.

بما أنّ العمل الإعلاميّ لن يتوقف في أيّ مكانٍ على وجه العالم، وبما أن بناء إعلام جديدٍ حرٍّ في سوريا هو مشروعٌ قائمٌ بقوام المجتمع؛ فإن تجربةً الإعلام الثوريّ جاءت في الدرجة الأولى للتخلص من نمط إعلام نظام حافظ وبشار، الذي ترعرع واشتهر في أروقة مؤسّساته وعبر شاشة تلفزيونه البائس شتّامون يدركون بوضاعةٍ داخليةٍ أنهم لا يسهمون في بناء شيء، ولذلك تصبح النميمة والخطاب الشعبويّ سلاحاً وحيداً، تحت غطاء النقد والتاريخ النضاليّ منتهي الصلاحية.

وحدك تعلم...
الثورة اليافعة

محمد عثمان

ورد في الصفحات الأولى لهذه الرواية: «لأسباب أمنية سيتمّ نشر هذا العمل الآن دون ذكر اسم الكاتب، وستتوفر له نسخة إلكترونية فقط، إلى أن يشاء الله ويصبح بالإمكان نشره في دور نشر حرّة في سوريا».

تترافد في هذه الرواية ثلاثة خطوطٍ تحتلّ نفس بطلها عمر، الطالب في السنة الرابعة في كلية الطبّ؛ وهي الثورة والإيمان والحب. وينفتح السرد على المحاولات الوجلة الأولى للشابّ الدمشقيّ للاطلاع على صفحة «الثورة السورية ضد بشار الأسد» على موقع الفايسبوك، عبر كاسر بروكسي، وبإجراءاتٍ شديدة الحيطة.

لم تكن الثورة قد انطلقت بعد، ولكن المترقّبين السوريين لها، بتأثير الربيع العربيّ، كانوا قد أنشأوا الصفحة ودعوا إلى أكثر من يوم غضب في شباط 2011، ثم في آذار حين انطلقت أوّل مظاهرةٍ في البلاد منذ زمنٍ طويل. كان عمر وزميله المقرّب مضر ينتظران بقلق ما سيحدث، ويتفاءلان بأيّ إرهاصةٍ، كالتجمع الاحتجاجيّ العفويّ للناس في سوق الحريقة، ويتنغّمان بالهتاف الذي أطلق فيه دون تخطيطٍ من أحدٍ كذلك: «الشعب السوريّ ما بينذلّ». وكما هي حال الشابين كانت حال شقيقة عمر وصديقتها علا إذ تتبادلان الحديث عن خفّة الظلّ التي وسمت لافتات ميدان التحرير المصريّ.

دقّت ساعة الثورة في البلاد، وصارت تتسع أسبوعاً إثر أسبوع، غير أن مشاركة عمر ومن حوله فيها لم تحِن بعد. فقد كبّلهم الخوف زمناً، وحاروا بين ما يشعرون به من واجبٍ تجاه بلدهم ومبادئهم وبين تحميل أهاليهم ما لا طاقة لهم به باحتمال الاعتقال. حتى تخطّى عمر حاجز الرعب وشارك في «مظاهرةٍ طيارةٍ» خرجت إثر صلاة العشاء من أحد الجوامع. وربما كان تصوير الكاتب للمشاعر الحادّة والمتضاربة في نفس بطله خلال هذه التجربة أجمل صفحات الرواية على الإطلاق. فأثناء الركعات الأربع لم يستطع عمر أن يعي حتى الآيات القصيرة التي تليت، وهو يتخيّل غلظة الهراوات ووجوه رجال الأمن وباص الاعتقال. يسجد الإمام فيتمنى عمر أن يطيل في سجوده، ويقوم فيتمنى لو يطيل قيامه. ولكن السجدة الأخيرة تأتي، ويقوم منها وهو يريدها أن لا تنتهي، ملاحظاً سبّابته ترتجف أثناء التشهّد. يخرج من الجامع متأهباً ولكن لا شيء يحدث، فيسأل من دعاه: هل ألغيت؟ فيجيب: لا أعرف، ربما العدد غير كافٍ. تجتاح الراحة الدافئة صدر عمر؛ ها هو قد أسقط عن نفسه ما توجّهه له من تهمةٍ بالجبن، وأخذ ثواب النيّة!

ولكن الصرخة ما لبثت أن اندلعت تلفح وجوه الواقفين «تكبير!!». ودون تفكير تحوّلت البسمة الفاترة على وجه عمر إلى تجهّم أطلق ما في ثنايا نفسه من رجولةٍ امتزّجت بطعم القهر الطويل فردّ صارخاً «الله أكبر..!!». انفجرت كرةٌ حمراء لاهبةٌ كانت في داخله، محوّلةً ما ران عليها من طبقاتٍ رماديةٍ من الكبت إلى شظايا تطايرت خارج كيانه، واندرجت نفسه مع نفوس المتظاهرين حوله، يمدّهم بوهج الطاقة تلك ويمدّونه، حتى صاح أوّلاً وصاحوا وراءه «الشعب يريد إسقاط النظام».

تتالت المظاهرات بعد ذلك وأضحت حدثاً مألوفاً في يومياته. واتسعت علاقاته مع الثوّار حتى أصبح أصدقاؤه بين مطارَدٍ هرب إلى الخارج وبين معتقلٍ أو شهيد. واضطرّ عمر إلى التواري مدّة في بيت جدّه بعد أن تعرّف إليه أحد المخبرين المتابعين للمظاهرات. وفي هذه المرحلة وجد الوقت والمكتبة الغنيّة الوافية للقراءة في موضوعات الإيمان والإلحاد التي ألحّت عليه بحكم العمر وتلمّس الطريق من جهة، وبفعل الاحتكاك بأشخاص مختلفين عنه في جوّ الثورة، لم يكن له أن يلتقي بهم في سياق حياته المألوفة في منزل ذويه المحافظ وفي الجامع الذي كان يتردّد إليه، من جهةٍ أخرى.

يغرق عمر في الكتب المتناقضة في مسائل الإيمان والإلحاد والشكّ، ويخرج منها أكثر إيماناً وهو يردّد آخر عبارةٍ خطّها جدّه في دفتره الخاصّ مخاطباً ربه: «وحدك تعلم». ولكن علاقته القصيرة والكثيفة مع علا تصيبه بجرح صعب الاندمال، فقد رفضته هذه الثائرة الجميلة التي عشقها باندفاع الحبّ الأوّل وجنونه، بالضبط لأنهما مختلفان في موضوع الإيمان والالتزام الدينيّ.

أهوال سوريا تُظهر الثمن المأساويّ للتقاعس الغربيّ

ناتالي نوغايريد*
الغارديان/ 30 تشرين الأول
ترجمة مأمون حلبي

من النادر أن يعترف مسؤولٌ رفيعٌ المستوى أنهم قد أخطأوا كليةً في أمرٍ من الأمور. فريدريك هوف، وهو مستشارٌ خاصٌّ سابقٌ في الشؤون السورية لهيلاري كلينتون عندما كانت وزيرةً للخارجية، كانت لديه جرأة الاعتراف بذلك. فقد كتب مؤخراً مقالةً تحت عنوان «لقد ارتكبت خطأً فادحاً بخصوص سوريا».

المقالة تحليلٌ مؤلمٌ لحقيقة أن الآمال المبكرة عام 2011 برؤية بشار الأسد وقد أطيح به عن طريق ثورةٍ شعبيةٍ كانت إما ساذجةً أو غير متبصّرة. وهي تتضمّن أيضاً نقداً شاملاً لرئاسة أوباما التي، بكلّ وضوح، لم تكن تنوي أبداً أن تفعل أيّ شيءٍ يتعلق بالمسلخ السوريّ، مفضّلةً ترك المشكلة تتفاقم دون معالجتها.

من المغري الاعتقاد أن آخر تفعيلٍ للدبلوماسية الدولية بخصوص سوريا سيؤدّي إلى نتيجةٍ أكثر توفيقاً. لكن، قبل بضعة أيام من بدء المحادثات الوزارية في فيينا، ظهر أن هوف يبدّد هذه الآمال في اجتماعٍ عقد في مجلس العموم يتعلق بكارثة حقوق الإنسان في سوريا. كانت جدران المجلس مغطاةً بصور أجسادٍ تمّ تعذيبها، هرّبها «قيصر» خارج سوريا قبل سنتين من الآن. كان «قيصر»، وهو مصوّرٌ عسكريٌّ، يعتقد أن العالم لو رأى المذبحة التي تجري في سجون الأسد فسيتصرّف. لا شيء من هذا حدث. والآن يقول هوف إنه لا يستطيع أن يرى أيّ دليلٍ على تغيّرٍ في سياسة الولايات المتحدة، التي ستبقى عازمةً على إبقاء الملفّ السوريّ على مبعدةٍ منها. هذا الأمر يناسب الرواية التي تتمسّك بها منذ زمنٍ طويلٍ عن انسحابها من النزاعات، وهذا ما يريده الجمهور الأميركيّ. لقد تبقى 14 شهراً من ولاية أوباما، لذا فالسيناريو الأرجح هو أن البيت الأبيض سينتظر انتهاء هذه الأزمة. قامت الولايات المتحدة بشكلٍ أساسيٍّ بتعهيد سوريا للفاعلين الإقليميين، وكلّ الدلائل تشير إلى أنها على الأرجح ستقوم بتعهيدها، بدرجةٍ أكبر هذه المرّة، لروسيا، مهما كانت التكلفة البشرية.

من المهم جداً أن صور قيصر عُرضت في إحدى قاعات مُشرّعي البرلمان البريطانيّ، لأنه البرلمان الذي صوّت ضد التدخل في سوريا في آب 2013 رغم معرفته أن الأسد استخدم أسلحةً كيماويةً ضدّ المدنيين. لقد أفسد الإرث العراقيّ الجدل البريطانيّ حول سوريا. لهذا السبب، حتى أولئك الذين ينتمون إلى حزب العمال ويطالبون بإنشاء مناطق آمنةٍ في سوريا يقولون إنهم يفضّلون قراراً من الأمم المتحدة أولاً. ولكن ليس للمطالبة بقرارٍ أمميٍّ من أجل مناطق آمنةٍ حظٌّ من النجاح لأن روسيا والصين ستستخدمان الفيتو ضدّه، مما يعني جعل أيّ سياسةٍ مرهونةً بما يريده الكرملين، وهذا يعني الإبقاء على الأسد وعلى آلة القتل لديه. يشير هوف إلى أنه إن كان لسابقةٍ دبلوماسيةٍ أن يُستنَد إليها عندما يُنظر إلى سوريا فهي ليست سابقة العراق 2003، بل البوسنة 1995.

عام 2012، عندما اشتدّ الهجوم العسكريّ على المدنيين، كنت أنتظر لحظةً تشبه «لحظة سربرنيتسا» البوسنية؛ عندما أدّت جريمةٌ فظيعةٌ إلى عملٍ دوليّ. في أيار من ذلك العام ذبحت ميليشياتٌ مواليةٌ للأسد أكثر من 100 شخص في بلدة الحولة السنّية، لكن لا شيء حدث. وعندما وقعت هجماتٌ كيماويةٌ اغتنمت روسيا الفرصة وقدّمت مشروعاً لنزع الأسلحة الكيماوية، وهو ما أدّى إلى إنقاذ الأسد.

هناك فاعلون كثرٌ مسؤولون عن عمق المأساة السورية، ومن المستحيل إلقاء كلّ اللوم على أوباما. لكن هوف صوتٌ نادرٌ من داخل تلك الإدارة يقول إن التقاعس كانت له تكلفةٌ أعلى من الأقدام على الفعل: «لا أحد ينكر مخاطر العمل العسكريّ. مع ذلك، ما يتمّ إنكاره هو مخاطر التقاعس». لقد اختارت رئاسة أوباما إدارة الرأي العامّ عوضاً عن صياغة الأحداث ومنع مزيد من الأهوال. ببساطة، لم يكن السوريون أبداً أولوية. وعلى الجمهور أن يفهم أن عدم التعويل الكبير على القمم الدبلوماسية سيكون بدايةً جيدة، فالمحادثات طريقةٌ جيّدةٌ لشراء الوقت بالنسبة إلى أولئك الذين لا يريدون أن يقوموا بأيّ شيء، وعدم التعويل على العدالة الدولية أمرٌ هامٌّ أيضاً. كأوربيين، علينا التأمل كيف أننا طوال الوقت كنا نعتقد أن هذا الوضع العسير سيعتني به آخرون، في الولايات المتحدة أو غيرها. تلك كانت أوهاماً، وستدفع أوربا ثمناً باهظاً، لأنها على أعتاب الشرق الأوسط.

* صحفية فرنسية مختصّة بالقضايا الخارجية.

AP

أكاديميّو الأسد

لا يكتفي الدكتور المهندس يوسف جمّول، الذي يعمل في هيئة الطاقة الذرية السورية، بنشر صورةٍ له وهو يحمل أمام صدره كتابه الجديد «العناصر الترابية النادرة»، على حسابه الفيسبوكيّ Yousef Jammoal، بل ينشر إلى جانبها صورةً لزوجته تحتضن طفليها المزهوّين وتحمل الكتاب/ المولود بالوضعية نفسها.

كما لا تقتصر مواهب الدكتور على العلم العويص وحده، فأغلب منشوراته من الشعر العموديّ المضبوط بالشكل، والمصحوب بصورٍ تعبيريةٍ عن الحبّ والشجر والغيوم ومزهريات الورود الحمراء، كما عند قوله: «إنّ الغرامَ كوردةٍ جوريةٍ»، أو قوله: «أسكب خمرة الأقداح من دنّ الصباح». وقد ينزل الشاعر من عليائه فيكتب: «وشممتُ عطرَ ورودها في خافقي/ فطغت عليها نكهة المكدوس»، مرفقاً ذلك بصورةٍ لصحن مكدوسٍ وأخرى لصبيةٍ بملابس العصر الفيكتوريّ. ولا عجب، فشاعرنا العالم متخرّج في جامعة نيو كاسل البريطانية، أيام تمرير الإيفادات والمنح الدسمة للمقرّبين والمخبرين والبعثيين من تحت طاولات وزارة التعليم العالي.

ولكن الدكتور لا يفتقر إلى الوفاء، فهو يخصّص جزءاً من ديوانه الفيسبوكيّ لإعلان الولاء للأسد الابن وعسكره الذي «يحمي حمى سوريّتي/ والجيش أضحى غايةً وطِلابا»، غاضّاً الطرف عن قوافل المتسرّبين من الجيش والبلاد معاً عبر البرّ والبحر، وعن التأجيلات التي يحصل عليها الشبّان اليوم بنفس الطرق، ربما، التي كانت قد حملت جمّول على السفر المتكرّر من حمص إلى دمشق لـ«تزبيط» الإيفاد لدراسة الهندسة الكيميائية.

أما الأسد الأب فيستحقّ تبجيلاً أكبر بالطبع، فإذ ينشر الشاعر على صفحته اللوحة الشهيرة التي تجمع 100 شخصيةٍ من مشاهير العالم عبر التاريخ، كشكسبير وروسو ونيتشه وموزارت وفرويد وبيكاسو، ونابليون وبسمارك ويوليوس قيصر والإسكندر المقدونيّ؛ فإنه يرى ضرورة إضافة حافظ الأسد إليها. مستشيراً متابعيه في هذا، وطالباً منهم إضافة أسماءٍ أخرى. ويأتي التعليق الأبرز -شعراً- من صديق لجمّول، بل متقدّم عليه في حيازة الأستاذية بعد الدكتوراه (أ. د. عبدالكريم حبيب)، يقترح إضافة كلٍّ من صالح العلي وبشار الأسد.

وبالانتقال إلى صفحة حبيب يتبيّن أنه يحمل الدكتوراه في اللغة العربية، مما أهّله بشكلٍ مزدوج لكتابة الشعر، الذي تناول مؤخراً مطار كويرس «سلاماً للنمر الذي لا يعرف غير النصر والفخار»، والنثر الفنّي الذي يخاطب الجنديّ في قوّات الأسد -أو النمر؟- بقوله «تقدّم واجعل حشرهم من تحت أخمص بوطك... انظر إلى المسلحين كيف يركضون كالجرزان» [كذا].

وبالعودة إلى كتاب جمّول نعثر على عرض له بقلم حبيب، يبيّن أهمية العناصر الترابية النادرة في الصناعات العسكرية. وبذلك تكتمل الحلقة ولا يبقى إلا أن نفهم سبباً لأن يعرض مختصٌّ في اللغة كتاباً علمياً. نبحث في صفحة الأستاذ الدكتور عن إجابةٍ فلا نعثر على صلةٍ له بالعلوم إلا قوله في مقدّمة أحد البوستات: «دخلت على حفيدتي زينب وهي عاكفةٌ على جهاز الفيس بوك»...

جهاز الفيسبوك يا حبيب!

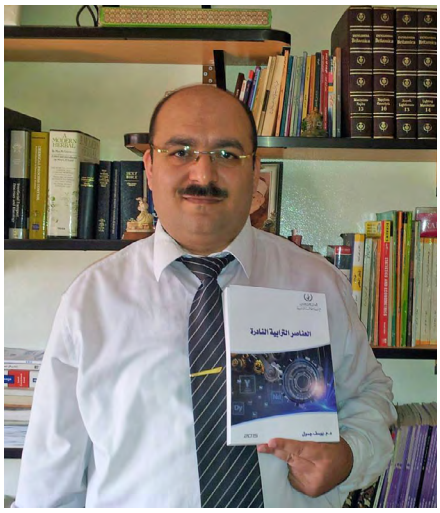

صورة من الأرشيف للدكتور عبد الكريم حبيب (ينظر إلى الكاميرا) أثناء خدمته الإلزامية في مدرسة المشاة بحلب. ويظهر في الصورة باكيت «الحمراء الطويلة» السوريّ الشهير، الذي تدخل العناصر الترابية غير النادرة في تركيبه.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

إلا الحماقة... منع «عين المدينة» في عفرين

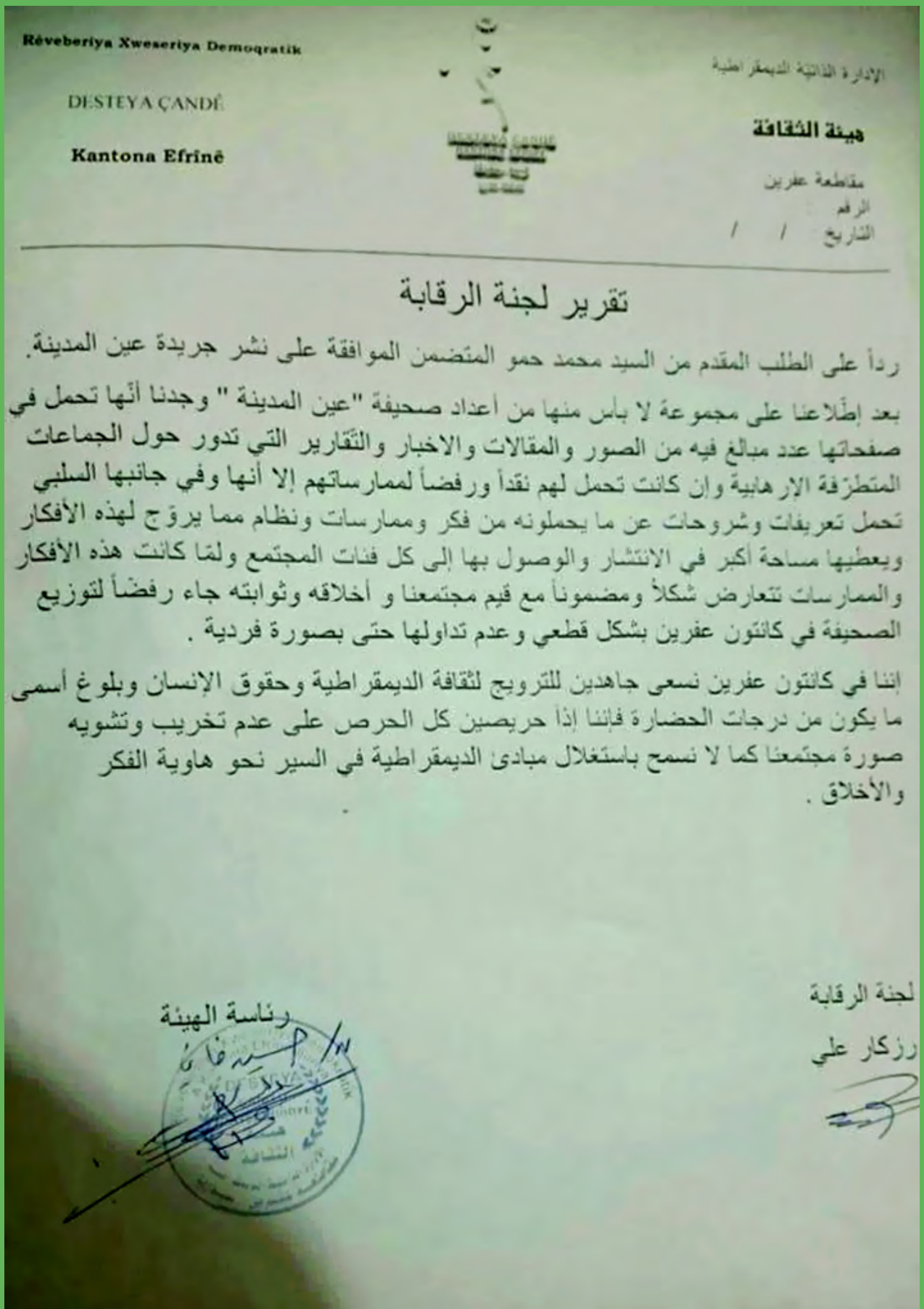

Rêveberiya Xweseriya Demoqratik

DESTEYA ÇANDÊ

Kantona Efrînê

الإدارة الذاتية الديمقراطية

هيئة الثقافة

مقاطعة عفرين

الرقم

التاريخ / /

تقرير لجنة الرقابة

رداً على الطلب المقدم من السيد محمد حمو المتضمن الموافقة على نشر جريدة عين المدينة.

بعد إطّلاعنا على مجموعة لا بأس منها من أعداد صحيفة "عين المدينة " وجدنا أنّها تحمل في صفحاتها عدد مبالغ فيه من الصور والمقالات والاخبار والتّقارير التي تدور حول الجماعات المتطرّفة الإرهابية وإن كانت تحمل لهم نقداً ورفضاً لممارساتهم إلا أنها وفي جانبها السلبي تحمل تعريفات وشروحات عن ما يحملونه من فكر وممارسات ونظام مما يروّج لهذه الأفكار ويعطيها مساحة أكبر في الانتشار والوصول بها إلى كل فئات المجتمع ولمّا كانت هذه الأفكار والممارسات تتعارض شكلاً ومضموناً مع قيم مجتمعنا و أخلاقه وثوابته جاء رفضاً لتوزيع الصحيفة في كانتون عفرين بشكل قطعي وعدم تداولها حتى بصورة فردية .

إننا في كانتون عفرين نسعى جاهدين للترويج لثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان وبلوغ أسمى ما يكون من درجات الحضارة فإننا إذاً حريصين كل الحرص على عدم تخريب وتشويه صورة مجتمعنا كما لا نسمح باستغلال مبادئ الديمقراطية في السير نحو هاوية الفكر والأخلاق .

لجنة الرقابة

رزكار علي

رئاسة الهيئة

في اللحظات الأخيرة قبيل إصدار هذا العدد وصل إلينا قرار الإدارة الذاتية بمدينة عفرين بمنع توزيع وتداول المجلة نهائياً، بتهمة الترويج غير المباشر للجماعات المتطرّفة الإرهابية!